

مشاكلة الناس لزمانهم وما يغلب عليهم في كل عصر

تأليف

أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر
(اليعقوبي)

تحقيق :

محمد كمال الدين عز الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

الحمد لله مداول الأيام بين الناس ، مالك الكون بقدرته ، ومدبره بحكمته ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، وكل شيء عنده بمقدار .

أما بعد ، فهذا كتاب «مشكلة الناس لزمانهم ، وما يغلب عليهم في كل عصر» يخرج لأول مرة من خبايا المخطوطات ، وكم كان لعنوانه قبل الحصول عليه من تشويق إليه ، أقدم بين يديه هذا الموجز للتعريف بصاحبه : العالم المؤرخ الجغرافي أحمد بن أبي يعقوب ، مجملا ما قال العلماء فيه ، مستمداً من الله السداد فيما قصدت ، وهو جل علاه ولي الفضل ومانح التوفيق .

المؤلف :

ترجم له ياقوت في معجم الأدباء (١) بأقل من ثمانية أسطر قال :

« أحمد بن أبي يعقوب إسحق بن جعفر بن وهب بن واضح الأخباري العباسي . ذكره أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب المصري الكندي المؤرخ في تاريخ له ، ابتدأه بسنة ثمانين ومائتين قال : إن أحمد بن إسحق ابن واضح مولى بنى هاشم ، توفى سنة أربع وثمانين ومائتين . وله تصانيف كثيرة ، منها : كتاب التاريخ كبير - كتاب أسماء البلدان مجلد - وكتاب آخر في أخبار الأمم السالفة صغير - كتاب مشكلة الناس لزمانهم . . » .

كما ترجم له الزركلي في الأعلام (١) مخالفاً في تنسيق الأسماء فقال :
« أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح يعقوبي .
مؤرخ جغرافي كثير الأسفار ، من أهل بغداد ، كان جده من موالى المنصور
العباسي . رحل إلى المغرب ، وأقام في أزمينية ، ودخل الهند ، وزار
الأقطار العربية ، وصنف كتباً جيدة منها : (تاريخ يعقوبي) انتهى به
إلى خلافة المعتمد على الله العباسي . وكتاب (البلدان) و(أخبار الأمم
السالفة) صغير ، و(مشاكلة الناس لزمانهم) .

واختلف المؤرخون في سنة وفاته ، فقال ياقوت : سنة (٢٨٤) هـ
ونقل غيره (٢٨٢) وقيل : (٢٧٨) أو بعدها ، ورجحت أخيراً رواية
ناشر الطبعة الثانية من التاريخ ، إذ وجد في كتاب (البلدان) - الصفحة
(١٣١) طبعة النجف أبياتاً لليعقوبي نظمها ليلة عيد الفطرسنة (٢٩٢ هـ) .
ومراجع ترجمة الزركلي هي :

معجم الأدباء - ٥ : ١٥٣ ط دار المأمون ، ومقدمة تاريخ يعقوبي -
طبعة النجف ، وفتح العرب للمغرب ص ٣٠٤ ، معجم المطبوعات ١٩٤٨ ،
والعرب والروم لفازيليف ص ٢٣٥ .

أما بروكلمان (٢) ، فتفيدنا ترجمته للمؤلف إلى جوانب من حياته
تعنى الباحث ، منها: نشأته على التشيع ، التي لها أثرها في اتجاهاته «وكان
واضح يتشيع سرّاً على الرغم من صلواته الوثيقة بالعباسيين ومناصبه الرفيعة ...
وقد توارثت أسرته التشيع ، فاعترف أحمد بولائه للموسوية ، وهم فرقة من
الإمامية المعتدلين .» .

ومنها: ذكر بعض أعماله وكتبه : «قضى أحمد شبابه في أزمينية ، وفي
خدمة الدولة الطاهرية بنجراسان ، وقد مجد أعمالها في كتاب خاص .» .

(١) الأعلام : ١ : ٩٠ - الطبعة الثالثة .

(٢) تاريخ الأدب العربي : ٤ : ٢٣٦ - المعارف ١٩٧٥ .

كما يرشد إلى التوقيت الذى ظهر فيه بعض كتب المؤلف :

« ويبدو أنه ألف أيضاً فى ذلك الوقت كتابه عن تاريخ العالم ، الذى وصل فيه إلى سنة ٢٥٩/٨٧٢ - وبعد سقوط الدولة الطاهرية ذهب إلى مصر ، وفيها كتب كتابه فى الجغرافيا سنة ٢٧٨/٨٩١ - ثم توفى سنة ٢٨٤/٨٩٧ . »

وبروكامان لا يتردد - هكذا - فى تحديد ربح وفاة المراف ، ولا فى حصر نهاية كتابه عن تاريخ العالم بسنة ٢٥٩ هـ من خلافة المعتمد على الله ، على حين امتدت حياته إلى سنة ٢٨٤ هـ . وليس هذا الحصر بعيداً . إذا نظرنا إلى اشتغال ابن يعقوب فى هذه المدة بتأليف كتاب (البلدان) غير أن ما حملنا على هذه الالتفاتة ، هو تذييل كاتب تاريخه بقوله المشكك بعد تمام النسخ .

« تم الموجود من تاريخ ابن واضح الكاتب العباسى رحمه الله تعالى وعفا عنه ، والحمد لله رب العالمين ... » (١) .

وكان تمام نسخه هذا سنة ١٠٩٦ هـ .

وقد نظرت فى كتاب (البلدان) طبعة (ابريل ١٨٩١) والمطبوع مع المجلد السابع من (الأعلام النفيسة) لابن رسته ، فوجدت إحدى الملحقات المنقولة عن خطط المقرئى ، وهى تتضمن بيتاً واحداً من (الخفيف) فى خبر سيق عن يعقوبى ، وبمطابقته للمصدر ، وجدته لا يختلف عما أثبتته الناشر إلا فى الإسم العلم للمؤلف . فقد سجله المقرئى - إن لم يكن خطأ الناسخين ، « محمد بن أبى يعقوب » فصححه الناشر فى الملحقه ، وقد حاولت أن أجعل فى كتب التراجم لهذا القرن اسم (محمد بن يعقوب) فلم أعثر على ذلك . وإليك الخبر مع تصحيح النسبة :

« وحدث أحمد بن أبي يعقوب الكاتب قال : لما كانت ليلة عيد الفطر سنة ٢٩٢ - تذكرت ما كان فيه آل طولون ، وملونات البنود والأعلام وشهرة الثياب ، وكثرة الكراع ، وأصوات الأبواق والطبول ، فاعترتني كذلك فكرة ، ونمت في ليلتي فسمعت هاتفاً يقول :

ذهب الملك ، والتملك والزينة لما مضى بنو طولون . كما رأيت سبعة أبيات أخرى من (الكامل) قد نسبت إليه في هذه الملحقات من (البلدان) وهي في الجزء نفسه من (الخطط) ص ٦٠٧ - وهي :

إن كنت تسأل عن جلالة ملكهم فارتع وعج بمراتع الميدان
وانظر إلى تلك القصور وما حوت وامرح بزهرة ذلك البستان .
وإن اعتبرت ففيه أيضاً عبرة تنبيك كيف تصرف العصران
يا قتل هرون اجثتت أصولهم وأشبت رأس أميرهم شيبان
لم يغن عنهم بأس قيس إن غداً في ججفل لجب ولا غسان
وعدية البطل الكمي وخزرج لم ينصرا بأخيها عدنان
زفت إلى آل النبوة والهلسى وتمزقت عن شيعة الشيطان (١)

وهرون المذكور هو ابن خمارويه . وشيبان وعدى هما عماء اللذان قتلاه ، كما يحكي ابن تغرى بردى (٢) ، وبقتله تبددت الدولة الطولونية على يد محمد بن سليمان ، الذي جمع آل طولون وكانوا سبعة عشر فقتلهم سنة ٢٩٢ هـ (٣) ، وبشر الخليفة المكتفي بنجر الفتح .

كما نرى في كتاب (الولاة وكتاب القضاة) لأبي عمر محمد بن يوسف

(١) البلدان : ٣٠٢ - وخطط المقرئى ، ٩ : ٦٠٧ .

(٢) النجوم الزاهرة : ٣ : ٩٨ .

(٣) البداية والنهاية : ١١ : ٩٩ - المعارف - بيروت .

الكندي المصري (١) ، زيادة أبيات أخرى من (الخفيف) لليعقوبي في الموضوع ذاته وهي :

نقمة أرسلت من الشرق تهوى فأناخت على بني طولونا
كيف يرجى صلاح هذى البرايا وابن أبا يسوس دنيا وديننا
بأبي خبة ورأى غريب كان يمضى شرائع الحكم فينا
ما رأينا من آل طولون إلا ساءه (٢) في بطالة مرهونا

وزيادة أخرى من شعره في الموضوع من (الكامل) (٣) .

المدار بعد تفرق الأظعان مسرورة بتفرق السكان
لم تبد من جون (٤) على أربابها إذ في الترحل راحة الحيران
رحلوا . ! فلا نزلوا بروض مزهر وعداهم سبل الغمام الداني
حرموا صيب المزن أني يموا وتقسمتهم سطوة الرحمن
ما كان أثقلهم على كتف العلى وأكف أيديهم عن الإحسان
ما كان أرذل دولة سعلوا بها وأحقها بتهدم الأركان
ما عاشروا نعم الإله بشكرها فأنابهم بمثوبة الكفران
ماذا أريحت مصر منه وما إلى أرض العراق مضى من البهتان ؟

وليس أمامنا من الأدلة ما يرجح نسبة هذه النصوص إلى أحمد بن يعقوب على وجه التصديق أو التكذيب ، حتى نرجح أن حياته قد امتدت لما بعد انتهاء الدولة الطولونية ، التي انتهت سنة ٢٩٢ هـ ، ولكنها تفيد من وجه

(١) الولاة وكتاب القضاة : ٢٥١ - بيروت ١٩٠٨ .

(٢) لملها (تأثها) .

(٣) نفس المرجع : ٢٥٢ .

(٤) لبعيها . (من حزن) كما أشار المحقق .

آخر أن المؤلف كان من شعراء عصره ، وأن هذه هي نظرتة النقدية لسياسة الدولة الطولونية ، التي رثاها غيره نائراً في إثرها الدموع والزفرات !

مكانة يعقوبي :

يعده بروكلمان (١) جغرافياً أكثر مما يعده مؤرخاً ، لأنه سلك ترجمته في عداد الجغرافيين ، كما نرى أنه لم يشر إلى كتاب (مشاكلة الناس لزمأنهم) الذي أشار إليه غيره على ما رأيت آنفاً ، ولكنه وقف مع بيان الخطوط والمنشور من الكتابين : التاريخ والبلدان ، وضمن حديثه فكرة صغيرة عن كل منهما ، فقال عن الثاني :

« ويعتمد الكتاب على مصادر أدبية ، ومعلومات ذكرها الرحالون ، ويعنى إلى جانب الطبوغرافيا ووصف المدن الكبيرة بالجغرافيا الاقتصادية وإحصاءات الجباية . »

وعن الثاني يقول :

« فالجزء الأول - وقد ضاعت مقدمته - يبدأ في منتصف قصة آدم ، ويليه تاريخ آباء بني إسرائيل ، وبخاصة بعد مغارة الكنز ، وتاريخ المسيح والرسل ، وملوك السريانيين ، وآشور ، وبابل ، والهند ، واليونان ، والروم وفارس ، وشعوب الشمال حتى الترك ، وملوك الصين ، ومصر ، والبربر والحبشة ، والبجة ، والزنج ، وأخيراً تاريخ عرب الجاهلية . »

أما الجزء الثاني - وهو ضعف الأول تقريباً - فقد خصص لتاريخ الإسلام ، ولا يغض من قيمته ما فيه من ميل إلى الشيعة ، ولكن لا تذكر فيه المصادر ، وهو يقتصر فيما يتعلق بالتاريخ المعاصر على ملاحظات لا تنفع غلة ، وكثيراً ما يتضح فيه العرض التاريخي بالخطب والرسائل ، ولكنه يشتمل على كثير من المعلومات القيمة ، المستقاة من مصادر قديمة جيدة ...

ويذكر اليعقوبى بصدد كل حكم . الوضع الذى كانت عليه الأفلاك عند بدايته » .

والمصدران اللذان اعتمد عليهما بروكلمان - عدا ثقافته الخاصة بدراسة المؤلف - هما : الإرشاد لياقوت : ٢ : ١٥٦ - ودائرة المعارف الإسلامية ٤ : ١٢٤٧ .

روزنثال :

« علم التاريخ عند المسلمين » :

ومن زاوية التقدير العلمى لابن يعقوب ، نرى لمعا منتثرة للعلامة (فرانز روزنثال) فى كتابه القيم (علم التاريخ عند المسلمين) إذ يقول عن دقة اليعقوبى :

« فأدق الأخبار عن تاريخ اليهود والنصارى (فيما فيهم الرومان) توجد - فيما عدا الكتب الأندلسية والغربية - عند اليعقوبى (١) .

وفى عد كتابه فى التاريخ أحد الكتب المهمة فى تاريخ العالم يقول :
« نصادف فى أوائل القرن العاشر ثلاثة أنواع من تواريخ العالم ، كانت مسبوقة بكتاب (الأخبار الطوال) لأبى حنيفة الدينورى . . . » .

« إن أول الأنواع الثلاثة من التواريخ العالمية تاريخ اليعقوبى ، الذى فقدت من مقدمته عدة صفحات تشمل قصة الخليقة (٢) » .

وفى هذا المقام يذكر قيام دراسة اليعقوبى على أساس التعاقب الزمنى للشخصيات ، وإحلال التاريخ الثقافى محل التاريخ السياسى . مع الرجوع إلى المصادر الأصلية بقدر توفرها لديه .

(١) علم التاريخ عند المسلمين : ١٣٠ .

(٢) نفسه : ١٨٤ .

« أم عن تاريخ العهد القديم والجديد ، فإنه لم يكتب بالأخبار الإسلامية ، بل رجع إلى الكتابات الأصلية ، مستعيناً ببعض الرواة ، وبذلك وصل إلى مستوى عال من الدقة . . . » .

وتعدد مصادر يعقوبى يدفع روزنتال ليقول :

« وقد استمر يذكر قائمة للمراجع ، تكشف عن المصادر التي استخدمها حيث كانت لديه مكتبة تاريخية غنية ، لم يبق منها إلا النزر اليسير (١) » .

وأما عن سبق يعقوبى للزمن والعلوم المستحدثة فيقول :

« فعندما كتب يعقوبى في القرن العاشر (يعنى الميلادى) كتاباً عنوانه «مشكلة الناس لزمانهم» فإن المرء يستنتج منه أن فكرته عن التاريخ جاءت قريبة من الأفكار الحديثة عن التطور ، غير أنها ظلت سطحية ، ولم تنفذ إلى أعماق الفكرة الحديثة » (٢) .

ويمتدح روزنتال ابن يعقوب بعدم التوسع في سرد الأشعار التي غصت بها كتب التاريخ الإسلامية ، كما وصف منهجه بالجودة في اتخاذ جهود حكم الحكام مبدأ فريداً في الترتيب (٣) ، كما لم ينس الموازنة بينه وبين المسعودى ، في الجمع بين الجغرافيا والتاريخ ، حيث مزج المسعودى بينهما في كتابه بأسلوب رائع ، بينما أبقى يعقوبى كتبه الجغرافية والتاريخية منفصلاً بعضها عن بعض (٤) . .

ويشيد روزنتال بتجارب يعقوبى وسعاناته في سبيل تحصيل معلوماته التي جاء وصفه إياها في مقدمة كتابه (البلدان) « فكل من يقرأ المقدمة التي

(١) علم التاريخ عند المسلمين : ١٨٤ .

(٢) نفسه : ٢٦ .

(٣) نفسه : ٩٧ - ١٢٦ .

(٤) التاريخ عند المسلمين : ١٥١ .

كتبها اليعقوبي لكتابه الجغرافي (البلدان) لا بد أن يتذكر أولئك الرحالة الباحثين عن المعرفة ، أمثال هيكايتوس ، واهتمامهم بالشعوب والبلاد الأجنبية « (١) .

ويعتدحه بالاهتمام بالنصوص والوثائق فيقول :

« أما اليعقوبي فقد خصص فصلاً خاصاً في تاريخه لمكاتبات الرسول والخلفاء الراشدين ، والرسائل الواردة من العمال الأجانب ، وهي رسائل طريفة جداً » (٢) .

ولاشك أن هذه الدراسة النقدية الحصيفة منصفة لليعقوبي ، ورافعة لنظرة الدارسين نحوه ، دون تحيز لا يسنده دليل .

مشكلة الناس لزمانهم :

الذي يبدو من كتابات المترجمين والنقاد ، أنهم لم يطلعوا على هذه الرسالة الصغيرة الحجم ، فحديثهم عنها بالسماح ، إذ لم يصفها أحدهم - كما صنعوا مع كتبه الأخرى - بالصغر أو الكبر أو عدد الصفحات أو المجلدات ، أو تناول شيء من المضمون ، حتى روزنتال الذي اتخذ من عنوانها استدلالاً على اتجاه اليعقوبي ، الذي قارب المحدثين في استنتاج القوانين الاجتماعية والإنسانية من مسار التاريخ .

والنسخة الموجودة في مكتبة (مراد ملا) هي من سبع ورقات ، مسطرتها واحد وعشرون سطرًا ، من القطع (١٨ - ٢٧ ١/٤ سم) وهي ضمن مجموعة من ٧٩ (أ) / ٨٦ (أ) وقد حررت في القرن التاسع الهجري نخط النسخ ، ينقصها إجادة ضبط الأعلام بالإعجام ، وعدم وضوح بعض الألفاظ ، التي لعل الناسخ لم يفهم مدلولها فرسمها على التقريب ، مما دعانا إلى مراجعة كتب التاريخ المختلفة للمؤلف وغيره ، وكثير من المراجع والمطان ،

(١) نفسه : ١٥٤ .

(٢) نفسه : ١٦٨ .

التي نظمنا بها على تحقيق النص ، ليكون أقرب إلى الكمال إن لم ندرکه
وكان العمل في صورته الأولى معتمداً على (الفيلم رقم ٩٢٢) الذي أخذنا
صورته من معهد المخطوطات ، مسترشدين بالجزء الثاني من الفهرس التاريخي ،
ونسأل الله أن يلهمنا السداد فيما توليناه .

موضوع الكتاب

بين الفكر والتطبيق :

يبدو من استهلال المخطوطة أنها مسبوقة بكلام مفقود - كما سترى -
ولكنها بحالها تدور على محور هو عنوان الكتاب ، حيث يصور العنوان
الفكرة ، ويمثل الكتاب التطبيق .

والفكرة ناتجة عن استقراء للمعتاد من التبعية بالتقليد ، يسرع بها العامة
للخاصة ، في جميع العصور والأقطار .

والتقليد من غرائز الإنسان المبكرة منذ الطفولة ، وهو وسيلة أولية
من وسائل اكتساب المهارات والمعارف ، دون تفریق - أو بتفريق - بين
الضار والنافع ، إذ يقلد الإنسان أحياناً فيما يجره نحو حتفه .

والحامل على التقليد الاستهواء ، أو تقدير المنفعة ، أو حب إظهار
القدرة ، أو النفاق على وجه التقية أو المحاملة . . .

وكما تسم البيئة الطبيعية نباتها وحيوانها بميسمها ، فترى نبات الصحراء
وحيوان الصحراء يختلف في مميزاته عن الحيوان والنبات في المروج الخضراء
وشواطئ الأنهار والغدران - تسم البيئة الاجتماعية أبناءها بالغالب عليها من
طرق العيش واكتساب المظاهر في إطارها الجامع ، فلا يفلت من هذا
الانطباع إلا العاجز بسبب من أسباب العجز ، أو الراض لما عليه المجتمع ،
لأنه ذو نزعة سلوكية مثلها الأعلى غير متربع على العرش في زمن رفضه .

وكما يتخذ الأطفال من الأهل والأساتذة نماذج عليا يقلدون ما يستهوى

عقولهم منها ، فإن الشعوب مع الملوك والرؤساء كالأطفال مع الآباء في ذلك التقليد . . ولهذا يكون من واجب الكبار لله ، ثم للأمة والتاريخ ، أن تكون مظاهر حياتهم وسلوكهم على النهج المرضى ، حتى لا ينحدروا بالتابعين والرعايا المقلدين عن مستوى النبلاء الناهضين ، الذين يقدرون حرمة الدين والإنسان والحياة .

لهذا شددت رسالة الإسلام على ضمير الراعي ليعرف قيمة التبعة ، وليعلم أنه مشلول أمام الله عن رعيته حفظ أم ضيع ، وأعظمت الجزاء لمن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ولمن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

هذه الحقيقة الثابتة بالاستقراء «مشاكلة الناس لزمانهم» وعلى رأس الزمان السادة من ملوك وحكام ، مثل لها اليعقوبى في فترة من عمر البشر ، وفي قطاع من التاريخ الإسلامى ، يبدأ بخلفاء الإسلام وأولهم (أبو بكر الصديق رضى الله عنه) وينتهى بالخليفة (المعتضد) الذى ولى الخلافة سنة ٢٧٩ هـ ، وهو آخر الخلفاء في حياة المؤلف ، إذا صح أن وفاة اليعقوبى كانت سنة ٢٨٤ هـ فقد توفى المعتضد سنة ٢٨٩ هـ .

أثبت المؤلف على مد هذه الفترة ، تطبيق المثل على الحقيقة ، من مشابهة الناس للحاكم ، واقتدائهم به في الظواهر العامة للسلوك .

هذه الظاهرة أو الحقيقة الاجتماعية في تاريخ البشر ، لا ينفرد اليعقوبى بالحديث عنها ، إذ هي تفصيل في كتابه لما أجمل قبله في قولهم : الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم .

وقولهم : الناس على دين ملوكهم . وقد نلح مغزى هذه الظاهرة في القول الشائع :

إذا كان رب البيت بالدف ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

ومن تحدث في المعنى دون تفصيل ، ابن طباطبا العلوى في كتابه

(تاريخ الدول الإسلامية) حيث يقول في خواص الملوك :

« واعلم أن للملك أموراً تخصه ، يتميز بها عن السوقة ، فمنها أنه إذا أحب شيئاً أحببه الناس ، وإذا أبغض شيئاً أبغضه الناس ، وإذا لهج بشئ عطف به الناس ، إما طبعاً أو تطبعاً ، ليتقربوا بذلك إلى قلبه ، ولذلك قيل : الناس على دين ملوكهم . فانظر كيف كان زى الناس في زمن الخلفاء ، فلما ملكت هذه الدولة ، وأسبغ الله إحسانها ، وأعلى شأنها ، غير الناس زيمهم في جميع الأشياء ، ودخلوا في زى ملوكهم بالنطق ، واللباس ، والآلات والرسوم ، والآداب ، من غير أن يكلفوهم ذلك أو يأمرهم به ، أو ينهوهم عنه . ولكنهم علموا أن زيمهم الأول مستهجن في نظرهم ، منافع لاختيارهم ، فتقربوا إليهم بزيمهم ، وما زال الملوك في كل زمان يختارون زياً وفناً فيميل الناس إليه ، ويلهجون به ، وهذا من خواص الدولة وأسرار الملك (١) »

والثعالبي في كتابه (الغرر في سير ملوك الفرس) يذكر مقتطفات من كتاب « البدء والتاريخ » للمطهر ، عن أديان الهنود وعاداتهم وقوانينهم فيقول :

« إن الكلام على هذه الأمور هو كالكلام على ملوكهم ، لأن الناس على دين ملوكهم ، وخاصة الهنود ، الذين يضحون بأنفسهم من أجل إعلاء ملوكهم . . . » (٢) .

كما كتب ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) فصله الثالث والعشرين من مقدمته « في أن المغلوب مولع أبداً بالافتداء بالغالب : في شعاره ، وزيه ، ونخلته ، وسائر أحواله وعوائده » (٣) .

(١) تاريخ الدول الإسلامية : ٢٦ .

(٢) علم التاريخ عند المسلمين : ١٣١ عن مخطوطة الغرر ٢٤٧ - باريس .

(٣) مقدمة ابن خلدون : ١٤٧ .

« والسبب في ذلك أن النفس أبدأ تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه ، إما لنظره بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه ، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي ، إنما هو لكمال الغالب ، فإذا غالطت بذلك واتصل لها اعتقاداً فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به ، وذلك هو الاقتداء . أو لما تراه - والله أعلم - من أن غلب الغالب لها ليس بعصية ولا قوة بأس ، وإنما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب ، تغالط أيضاً بذلك عن الغلب ، وهذا راجع للأول .

ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدأ بالغالب في ملبسه ، ومركبه ، وسلاحه ، في اتخاذها وأشكالها ، بل وفي سائر أحواله . .

وانظر في الأبناء مع آبائهم : كيف نجدهم متشبهين بهم دائماً ، وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم ، وانظر إلى كل قطر من الأقطار : كيف يغلب على أهله زى الحامية وجند السلطان في الأكثر ، لأنهم الغالبون لهم ، حتى إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها ، فيسرى إليهم من هذا التشبه والاعتقاد حظ كبير . كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة ، فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم ، والكثير من عوائدهم وأحوالهم ، حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت ، حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء والأمر لله . وتأمل في هذا سر قولهم : العامة على دين الملك ، فإنه من بابه ، إذ الملك غالب لمن تحت يده ، والرعية مقتدون به ، لاعتقاد الكمال فيه ، اعتقاد الأبناء بأبائهم ، والمتعلمين بمعلميهم

خصوصية الملك :

غير أن للملوك مع هذا نزعة حب التفرد ببعض المزايا ، التي لا يحبون المشاركة فيها ، لأنهم يرون في مشاركتهم انتقاصاً لعظمتهم ، كما يشير

لجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) إذ يقول : (١) .

« فأما كل ما أمكن الملك أن ينفرد به دون خاصته وحامته ، فمن أخلاقه أن لا يشارك أحداً فيه . وكذا حكى عن أنو شروان ومعاوية بن أبي سفيان : وبعض أهل العلم يحكى عن الرشيد ما يقرب من هذا . » .

« ألا ترى أن الأمم الماضية من الملوك لم يكن شيء أحب إليهم من أن يفعلوا شيئاً تعجز عنه الرعية ، أو يتزبوا بزى ينهون الرعية عن مثله ؟ » .

فمن ذلك أردشير بن بابك ، وكان أنبل ملوك بني ساسان . كان إذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحد في المملكة على رأسه قضيب ریحان متشبهاً به ، وكان إذا ركب في لبسه لم ير على أحد مثلها ، وإذا تختم بخاتم فحرام على أهل المملكة أن يتختموا بمثل ذلك الفص وإن بعد في التشابه .

... وطاعة أهل المملكة أن تتحامى أكثر زى الملك ، وأكثر أحواله وشيمه ، حتى لا يأتي ما لا بد لها منه .

وهذا أبو أحيحة سعيد بن العاص في مكة ، كان إذا اعتم بمكة لم يعتم أحد بعمه ما دامت على رأسه .

وهذا الحجاج بن يوسف كان إذا وضع على رأسه طويلة لم يجترىء أحد من خلق الله أن يدخل وعلى رأسه مثلها » .

« ومن قصد إلى أن يشرك الملك في شيء يجد عنه مندوحة ومنه بدا بالمهل المبسوطة والأيام المحدودة ، عاص مفارق للشريعة (٢) » إلا أننا إلى يوم الناس هذا ، نجد الصورة العامة التي رسمها يعقوب لتلك المتابعة ، فالدولة التي ينضبط سلوك حكامها على سنن الشريعة والقانون ، تقود شعبها في استقامة وحزم ، والتي يصيبها في السادة التحلل والغفلة ، يصيبها في شعبها

(١) التاج المنسوب للجاحظ : ٥٥ - وقد نقل الأبيهي كلامه دون نسبه في (المستطرف :

: ١٠٨) .

(٢) التاج : ٩٤ .

ما أصاب السادة من غيبوبة عن الهدى ، فترتدى ألف زى من الأخلاق واللباس والمعاملة . وإذ غاب العرب على البلاد المفتوحة رأينا زى العرب ولغة العرب تسود المغلوب ، وإذ غلب الأتراك رأينا مظهر الأتراك يسود سواد الحياة في الزى والمراسم والعادات ، وقد شهدنا بعض الملوك يعنى لحيته لعله في البشرة ، فيسرى إعفاء اللحي في شعبه بما لم يفعله وازع العقيدة . وإلى عهد قريب كان الدخول من المرعوس على الرئيس بلا (طربوش) جنابة وقحة . ، ومن عهد قريب عريت عنه رعوس الحكام فعريت رعوس الأتباع .

تلك هي الفكرة لكتاب يعقوبى وهذا هو التطبيق .

عملنا في الكتاب :

لم نعثر للكتاب على مخطوطة أخرى ، فعمدنا إلى كتب التاريخ ، والتراجم ، والبلدان . واللغة ، نضوب منها ما يعوزه التصويب ، وقد حصلنا بذلك على صورة إن لم تكن الأصل في كلمة منها فهي لا تفارقه كثيراً ، وقد رأينا زيادة التفسير والتكميل أمراً لازماً لتمام الفائدة فذيلنا بهوامش أكثرها منقول منسوب ، ولم نجد غنى عن التعريف بالمؤلف الذي لم تطل التراجم حديثها عنه ، فحررنا هذا التقديم للتعريف به . وبيان منزلته ، وكان ختام التقديم هذه الدراسة المتممة لفكرة « مشاكلة الناس لزمانهم » حتى يتضح الموضوع بصورة أكبر ، وبالله التوفيق ومنه العون والسداد .

المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب مناقلة الناس في تانم وما يغلب عليهم في كل عصر ه

قال الشيخ الإمام الحافظ العلامة احمد بن محمد بن يعقوب بن جعفر بن ابي عمير رحمه الله
فاما احكامنا وملوكنا المسلمين الاسلام فان المسلمين كل عصر تبع الخليفة يملك
سلطه ويبدل صورته امة ويعملون بما قد رعايرون منه ولا يخرجون من اختلاف
واما اليه وانواليه فكان ابو بكر بعد رسول الله صل الله عليه وسلم ان هذا الناس
واشد هم ثوابه ونقله لبايه وكان للمير ومو خليفه المثلثة والعبادة
ويقدمت عليه اشراف العرب وملوك التبر وتعلمهم البيان ويروى في الوشي
والجيرة فلما راي القوم ثوابه ولباسه ترفعوا عما كان عليهم ولا هموا انذمتها
وافترقوا اشره وكان ذلك الكلايع مملك حمير يمتد قدم على بلاد بكرى غيرته
وقوميه في قلبه الماسح وكان له عبيدة الف عبيد حولها في حاله لما نأى
لنار لا يكره قال ما ينبغي لنا ان نتعل جملان ما عليه خليفة رسول الله صل الله
منزع لباسه الاول ونسبه ما يكرهنا انه روي في سوق المدينة يحمل
جلده شاة على رقاه فمالت له غيرته وثومته فصحتنا انت سيدنا تحمل شاة
من المهاجرة والاضار قال فاردتم مني ان اكون خيثارا في الحما عليهم خيثارا
في الاسلام وكان لا سغب من سر مملك كندة يلبس الماسح ويحيا بحجة
الملوك فلما استلم بعد ان تزايد به وروجه ابو بكر امة امه ووقيت ابرقانة
نواضع بعد النكر وثمة كل بعد العجرة حتى كان سيد عليه شاة خالفة شمر
فعلنا القبيزيين نسبها باي بكر واطهر احوال الاطلاق التي كان ظنها في الجاهلية
وكان ابو بكر رحمه الله لا يحمل احد من الاشراف على التما ورحله امة من الجاه
سنان ومنزب امة امة هذه فدعا به جعل يجمع عليه واموسين شاة لاله وتواضع

مشكور من
الزمان

يد خيرا اليك بنوهم

بافضالي ولا جود وكان المعنى ظان اغلب الناس عليه واشد تم تقديما
 عنده ولم يكن ممن يرحي فضله ولا يظن مكرهه وكان يداه من يحيي
 ابن ظان وزيره وكان طالبا للسلامة له مروة في نفسه ولا افضاله
 على احد الا ان الناس يمتنون منه المكروه وكان يصح عليه بقول لا حقيقة له
 وكان احمد بن اسرايل يقول تغلبنا منه الكذب وكان معه المنع من المتكلم
 فلم تغلب ايامه تعرف ماذا هم غير انه كان خيلا وكان احمد بن الحبيب كاتبه
 ووزيره فكان قليل الخبر كثير الترسيد الجهل وكان المستعيز وهو
 احمد بن محمد بن المعتصم فكان اول خليفة وتبع اكام الثياب فجعلها ثلاثة اشبار
 ونحوها وصغر القلائد وقرها ولا يعرف له مذهب اشبه الناس عليه
 ولا احلان شبه الناس به فيها وشغل عن كل شي ما تيسر عليه من الخيال القبر
 والمخلع وكان المعتز وهو ابو عبد الله بن المتوكل اول خليفة تركب
 بحلية الذهب وكانت الملقاة تركب بالحلية الخفيفة من الفضة في المناطق
 والبسوت والسروج والليم فلما تركب بحليته الذهب اتبعه الناس على ذلك
 ولم تعرف له احلاق محمد ولا ندم سعد والعتدي هو محمد بن الوانين
 مذهبته الى القضاة الذين جلسوا للظالم ووقع خطبه وقرب العترة وكان
 يقول يا بني هاشم دعوني حتى اسلك مسلك محمد بن عبد العزيز فاكون بكم
 يغلبه في ايامه وتقلد الباس والفرار في يوم الناس عليه انه يذهب
 مذهب ابيه في القول بحلق القرآن والمعد وهو احمد بن المتوكل
 فاعلم تغلب ايامه حتى طلب على امره فاشترى اللذة واعتكف على الملاهي وتغلب
 اخوه ابو جعفر على الامور حتى حضر عليه وخسسته وكان اول خليفة هو جعفر بن
 عليه وحضره : - - - - - وهو احمد بن المتوكل وكان رجلا شاميا

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد

كتاب

مشاكلة الناس لزمانهم ، وما يغلب عليهم في كل عصر
قال الشيخ الإمام الحافظ العلامة أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح
رحمه الله :

فأما الخلفاء وملوك الإسلام ، فإن المسلمين في كل عصر تبع للخليفة ،
يسلكون سبيله ، ويذهبون مذاهبه ، ويعملون على قدر ما يرون منه ،
ولا يخرجون عن أخلاقه وأفعاله وأقواله .

أبو بكر :

فكان أبو بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) أزهد الناس ،
وأشدهم تواضعاً وتقللاً في لباسه ، وكان يلبس (٢) - وهو خليفة - الشملة

(١) كانت بيعته رضى الله عنه يوم الإثنين ، لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة ١١ هـ (تاريخ
اليعقوبي : ٢ : ١٢٧) .

(٢) من قوله عندما حضرته الوفاة : « أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً
ولا درهماً ، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ، ولبستا من خشن ثيابهم على
ظهورنا . . . » (طبقات ابن سعد : ١٣٩) .

قال ابن طباطبا - والأمر كما قال - : « فأما خلافة الأربعة الأول . . . فإنها كانت أشبه
بالرتب الدينية من الرتب الدنيوية في جميع الأشياء كان أحدهم لبس الثوب من الكرباس الغليظ ،
وفي رجله نملان من ليف ، وحامل سيفه ليف ، ويمشي في الأسواق كبعوض الرعية . . . وكانوا
يعدون هذا من الدين الذى يمت به النبى صلوات الله عليه وسلامه » (تاريخ الدول
الإسلامية : ٢٩) .

والعباءة . وقدمت عليه أشراف العرب وملوك اليمن وعليهم التيجان وبرود
الوشى والحبر ، فلما رأى القوم تواضعه ولباسه نزعوا ما كان عليهم ،
وذهبوا مذهبه ، واقتفوا أثره .

وكان ذو الكلاع ملك حمير فيمن قدم على أبي بكر في عشيرته وقومه
وعليه التاج ، وكان له عشيرة ألف عبد خولا في مخاليفه ، فلما رأى لباس
أبي بكر قال : ما ينبغي لنا أن نفعل بخلاف ما عليه خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فنزع لباسه الأول ، وتشبه بأبي بكر ، حتى إنه رى في سوق
المدينة يحمل جلد شاة على قفاه ، فقالت له عشيرته وقومه : فضحتنا !
أنت سيدنا ! تحمل جلد شاة بين المهاجرين والأنصار ؟ .

قال : فأردتم منى أن أكون جباراً في الجاهلية جباراً في الإسلام ؟ .

وكان الأشعث بن قيس ملك كندة يلبس التاج ، ويحيا بتحية الملوك
فلما أسلم بعد ارتداده وزوجه أبو بكر أخته أم فروة بنت أبي قحافة (١) ،
تواضع بعد التكبر ، وتذلل بعد التجبر ، حتى كان يشد عليه شملة خلقة ،
ثم يهنا البعير بيده . تشبهاً بأبي بكر . واطراحاً للأخلاق التي كان عليها في
الجاهلية .

وكان أبو بكر رحمه الله ، لا يحمل أحداً من الأشراف على التجاوز ،
حتى إنه بلغه عن أبي سفيان بن حرب أمر يكرهه ، فدعا به ، فجعل يصيح
عليه وأبو سفيان يتذلل له ، ويتواضع بين يديه ، وأقبل أبو قحافة يقرده
قائه - وكان قد عمى - فسمع صياح أبي بكر ، فقال لقائه : على من يصيح
أبو بكر ؟ قال : على أبي سفيان بن حرب ، قال : أبا عتيق ! أعلى
أبي سفيان ترفع صوتك ؟ لقد تعديت طورك ! فقال : يا أبت إن الله قد
رفع بالإسلام قوماً ووضع آخرين ! .

(١) كان الأشعث قد ارتد فيمن ارتد ، فلما حصر طلب الصلح والأمان لعشيرته ،
فن عليه أبو بكر وقد جىء به موثقاً وأطلقه ، وزوجه أم فروة أخته .

عمر :

وكان عمر بن الخطاب (١) رحمه الله تعالى - مع تواضعه وخشونة ملبسه ومطعمه - شديداً في ذات الله ، فكان عماله وسائر من يحضره أو يغيب عنه يتشبهون [به] (٢) ولا يفارق أحد [مذهبه] (٣) من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان يلبس الخبة الصوف ، ويشتمل بالعباءة ، وحيناً (٤) البعير ، ويحمل قربة (٥) الماء على ظهره لأهله ، وكان العامل من عماله وهم أمراء الأمصار - وقد فتح الله عليهم ، وخولهم ، ومكن لهم ، وأغناهم ، وكفاهم (٦) يتحفون (٧) ، ويخلعون النعال ويلبسون الخفاف ، ويلبسون غلاظ الثياب ، وإذا قدموا عليه قدموا شعثاً ، غرباً ، غلاظاً ثيابهم ، شحبة ألوانهم . فإن رأيهم ، أو بلغه عنهم غير ذلك أنكره عليهم . وكان ركوبهم الإبل أكثر من ركوبهم للخيل على التشبه بعمر ، وسلوك فعله ، وما كانوا عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إنه رأى على أبي عبيدة بن الجراح - وهو أمير الشام ، وقد فتحها الله عليه - جبة صوف قد تغيرت رائحتها ، فقال -

(١) ولي عمر رضى الله عنه الخلافة لليتين بقتنا من جمادى الآخرة ، وقيل : لسبع بقين منها سنة ١٣ هـ (٢ : ١٣٩ - البيهقي) .

وحسبه من خشونة ملبسه ما أخبر به أنس : لقد رأيت بين كثنى عمر أربع رقاع في قيص له ، وما ذكره أبو محصن الطائى : رأى على عمر بن الخطاب وهو يصلى إزار فيه رقاع بعضها من آدم وهو أمير المؤمنين . (٧ : ٢٣٧ - ٣ - الطبقات)

أما عيشه ، فمن الحسن قال : كلموا حفصة أن تكلم أباها أن يلين من عيشه شيئاً ، فقالت : يا أبتاه ، أو يا أمير المؤمنين ، إن قومك كلموني أن تلين من عيشك : فقال : غششت أباك ونصحت لقومك . (السابق ١٩٩ : ٦) .

(٢) و (٣) ما بين الحاصرتين مزيد .

(٣) يطفى البعير بالهنا وهو القطران ليبراً من جربه .

(٤) فى الأصل : القربة الماء .

(٥) فى الأصل : وأكفاهم .

(٦) يمشون حفاة عن قصد منهم .

بو عبيدة : لقد جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما هو أشد رائحة من هذا فما أنكره . (١) .

وكان سلمان الفارسي عامل عمر بن الخطاب على المدائن ، وكان يلبس غليظ الثياب ، ويركب الحمارة ببرذعة مرسنة بجبل (٢) ليف . وحضرته الوفاة ، فأتاه سعد بن أبي وقاص فقال له : أوصني يا أبا عبد الله ! فقال : نعم . اذكر الله عند همك إذا هممت ، وعند لسانك إذا حكمت (٣) ، وعند يدك إذا قسمت ! وجعل سلمان يبكي ! فقال له : يا أبا عبد الله ، ما يبكيك؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [يقول] : (٤) « إن في الآخرة عقبة لا يقطعها إلا المخفون ! » وأرى هذه الأساور حولي ! فنظرنا فما رأينا في بيته إلا إداوة ، أو ركوة ، أو قدراً ، أو مطهرة . (٥) .

وولي عمر بن الخطاب عمر بن سعد الأنصاري جند حمص ، فأقلم حولاً ثم انصرف على جملة ، على الحال التي مضى من عند عمر بها (٦) ، فقال عمر : ويح قوم وليت عليهم أما عرفوا لك حقاً ! أو كما قال . وحج عمر ابن الخطاب فقال لابنه عبد الله : كم أنفقنا في حجنا ؟ فقال : ستة عشر ديناراً . فقال : لقد أسرفنا في هذا المال .

(١) الحق أن الإسلام لم يفرض هذا الزهد البالغ في طيبات الحياة من الحلال على أحد ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم - وهو إمام الأمة وهاديها إلى الحق - أطيب الناس جسماً وثوباً ، وكان يرى ويص الطيب في مفرقه . وإنما هي شدة الخوف من الدنيا وشدة اللرجاء في نعيم الآخرة ، قد صرفت الهمم عما أحل لها ، لا تحريمها لما أحل لله ، بل تواضعاً لجلاله ورجاء لما عنده ، وحسب أبي عبيدة إشفاقاً من الدنيا على شدة بلائه أن يقول : وددت أني كيش فذبحني أهل فأكلوا لحمي وحسوا مرق ! رضى الله عن أمين هذه الأمة أبي عبيدة بن الجراح .

(٢) في طبقات ابن سعد « حدثنا أبو المليلح عن حبيب بن أبي مرزوق عن هريم قال : رأيت سلمان الفارسي على حمار عري ، وعليه قميص سنبلاني قصير ضيق الأسفل - وكان رجلاً طويلاً السابقين كثير الشعر ، وقد ارتفع القميص حتى يبلغ قريباً من ركبته . قال : ورأيت للصبيان يخضرون خلفه ، فقلت : ألا تتحون عن الأمير ؟ فقال : دهمم فإعما الخير والشرف فيما بعد اليوم » (٢ : ٦٢ - الجزء الرابع - طبقات ابن سعد) .

(٣) في الأصل (حكمت) .

(٤) مزيد .

(٥) الإداوة بالكسر : المطهرة (القاموس المحيط) والركوة لعلها جوهش أو حفرة لتلقى الماء .

(٦) في الأصل « على الحال التي مضى عليها من عند عمر بها » .

عثمان :

وكان عثمان بن عفان (١) رحمه الله في السماحة ، والجرد ، وصلة الأرحام ، ورفع القرابة ، واتخاذ المال ، على ما كان عليه ، فامتثل الناس فعله ، فبنى عثمان داره بالمدينة ، وأنفق عليها مالا جليلا ، وشيدها بالحجارة ، وجعل على أبوابه مصاريع الساج ، واتخذ أموالا بالمدينة وعيوناً وإبلا (٢) .

قال عبدالله بن عتبة : كان لعثمان بن عفان يوم مات عند خازنه مائة ألف وخمسون ألف دينار ، وألف ألف درهم ، وكانت ضياعه بئر أريس ، وخيبر ، ووادي القرى ، قيمته (٣) ألف دينار وخلف خيلا وإبلا .

وفي أيام عثمان اتخذ أصحاب (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال ، وبنوا الدور ، فبنى الزبير بن العوام داره المشهورة بالبصرة ، وفيها الأسواق والتجارات ، وبنى الزبير أيضاً داراً بالكوفة . وداراً بمصر ، وداراً بالإسكندرية ، وبلغ ثمن مال الزبير خمسين ألف دينار ، وترك ألف فرس ، وألف مملوك ، وخططا بمصر ، والإسكندرية ، والكوفة ، والبصرة .

وبنى طلحة بن عبيد الله دوراً ، وعقارات ، قومت بمائة ألف دينار ، وكانت غلته بالعراق في كل يوم ألف واف ، وغلته بالشام عشرة آلاف دينار ، وبنى داره بالحص والاجر والساج ، وترك من الذهب والفضة مالا جليلا .

(١) كانت ولاية عثمان رضي الله عنه يوم الإثنين مستهل المحرم سنة ٢٤ هـ (٢: ١٦٢ - اليعقوبي) .

(٢) عن عبيد الله بن دارة : كان عثمان رجلاً تاجراً في الجاهلية والإسلام ، وكان يدفع ماله قراضاً . وعن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه : أن عثمان دفع إليه مالا مضاربة على النصف . (٢: ٤١ ج ٣ الطبقات) فلا عجب أن يصنع عثمان رضي الله عنه ما صنع ، والله تعالى لم يحر الكسب الحلال والاستمتاع بالطيبات من الرزق مع أداء حقه تعالى منها .

(٣) لعله (قيمتها) .

(٤) يعنى أغنياء الصحابة لا جميعهم .

وبنى عبد الرحمن بن عوف داره فوسعها ، وكان له ألف بعير ،
وعشرة آلاف شاة ، ومائة فرس ، وبلغ ربيع ثمن ماله أربعة وثمانين
ألف دينار .

وبنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق (١) فشيدها ، وجعل لها
شرفات . قال سعيد بن المسيب : وترك زيد بن ثابت من الذهب والفضة
ما كان يكسر بالفتوس ، ومالا وضياعاً ، وعيوناً ، مبلغها مائة ألف
وخمسون (٢) ألف (دينار) .

وترك يعلى بن منية التيمي خمسمائة ألف دينار ، وعقارات ، وضياعاً ،
وديوناً بقيمة ثلاثمائة دينار .

وبنى المقداد قصره بالجرف (: بالدين ، وجصص باطنه وظاهره ،
وجعل له شرفات ، ولم يفعل هذا أحد من الناس (٤) على عهد عمر ، وإنما
فعلوه بعده .

على :

وكان على بن أبي طالب عليه السلام مشغلاً أيامه كلها بالحرب ،
إلا أنه لم يلبس ثوباً جديداً ، ولم يتخذ ضيعة ، ولم يعقد على مال إلا ما كان
له يبيع ، و(٥) ... فما تصدق به ، وحفظ الناس عنه الخطب ، فإنه خطب
بأربعمائة خطبة حفظت عنه ، وهي التي تدور بين الناس ، ويستعملونها
في خطبهم وكلامهم .

(١) العقيق : من أعظم وديان المدينة (٢٦ : آكام المرجان) .

(٢) في الأصل : (وخسين) .

(٣) قرب المدينة .

(٤) في الأصل : « ولم يفعل أحد هذا من الناس هذا » .

(٥) كلمة مهمة ، ولعل ما في موضع النقط (وادي القرى والأذينة ورعد) وقد ذكر
المسعودي أن تركته كانت سبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يشتري بها خادماً لأهله
وقيل : ترك لأهله مائتين وخسين درهماً ومصحفه وسيفه مروج الذهب .

ص ٦٠٩ - المجلد الأول طبعة تحرير سنة ١٩٦٦ بتحقيق محمد مجي الدين عبد الحميد .

على أنه (رضى الله عنه) جعل ما كان له في بيع وغيرها صدقة جارية كما ورد في وصيته

التي ذكرها عبد الرازق في مصنفه (٣٧٤/١٠) .

خلفاء بني أمية

معاوية :

وكان معاوية بن أبي سفيان (١) ، فبنى القصور ، وشيد الدور ، وعلى السور ، واتخذ الحرس ، واتخذ الشرطة ، وأقام الحجاب ، وبني المقاصير في المساجد ، وركب الدواب الهماليج بالسروج (٢) المصففة ، ولبس الخبز والوشى ، واتخذ الصوافي (٣) والضياع ، وعمل له الطراز (٤) باليمن ، وبمصر والإسكندرية ، والرها . فاتخذ أهله ، وولده ، وعماله ما اتخذ ، وفعلوا مثل ما فعل ، فبنى عمرو بن العاص داره بمصر ، واتخذ لنفسه الضياع ، وغرس في ضيعته التي يقال لها : الوهط (٥) بالطائف ألف ألف عود كرم ، فكانت غلته عشرة آلاف ألف درهم . وخلف عمرو يوم مات ثلاثمائة ألف دينار ، وقال لما حضرته الوفاة : ياليتها كانت مائة ألف دينار (٦) .

(١) بوع معاوية في الكوفة سنة ٤٠ هـ في شهر ذي القعدة .

(٢) لعله (المفضضة) والهماليج من الهملجة لفظ فارسي معرب يدل على الفراغة .

(٣) لما ولي معاوية عبدالله بن دراج خراج العراق ، طلب أن يحمل إليه من ماها ما يستمين به ، فأخبره أنه كان لكسرى وآل كسرى صوافي يحبون ماها لأنفسهم ، ولا تجر مجرى الخراج ، فكتب إليه ليحصيها ويستصفيها له ، ويضرب عليها المنيات ، فبلغت جبايتها خمسين ألف ألف درهم من أرض الكوفة وسواها ، وكذلك فعل بالشام والجزيرة واليمن . (٢ : ٢١٨ - اليعقوبي) .

(٤) الطراز بالكسر : علم الثوب معرب ، وطرزه تطريزاً أعلمه فطرز . . . والنمط ثوب نسج للسلطان . (٢ : ١٨٠ - القاموس المحيط) .

(٥) في القاموس : ٢ : ٣٩٢ - والوهط . . . مال لعمرو بن العاص بالطائف على ثلاثه ميال من وج ، كان يعرش على ألف ألف خشبة ، شراء كل خشبة درهم .

وقال القزويني في أخبار الطائف : وبها كرم الوهط : كرم كان لعمرو بن العاص معروشاً على ألف ألف خشبة شري كل خشبة درهم . . .

(٩٨ : آثار البلاد وأخبار العباد)

وقد ورد ذكر (الوهط) في وصيته التي ذكرها عبد الرزاق في مصنفه ص ٣٧٧ من الجزء العاشر .

(٦) حين شارف عمرو الوفاة « نظر إلى ماله فرأى كثرته ، فقال : ياليتها كان بعرا : يا ليتني مت قبل هذا اليوم بثلاثين سنة ! أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت ديني ! آثرت دنياي وتركت آخرتي ! عسى على ريشي حتى حضرني أجل ! كآني بمعاوية قد حوى مالي وأسأه فيكم خلافتي ! » (٢ : ٢٢٢ - اليعقوبي) .

وفعل عبد الله بن عامر بن كرز بن عامل معلوية بالبصرة مثل ذلك :
فحضر الأنهار ، وشيد اللور ، وبني القصور ، واتخذ الضياع ، والأموال
والأخبية (١) بالبصرة ، وبمكة ، والطائف .

وفعل زياد عامل معاوية على العراق ذلك بالكوفة ، والبصرة ، وسائر
العراق ، واتخذ الضياع ، وبني وشيد البنيان ، وخلف زياد يوم مات
سنة آلاف دينار ، فأخذها معاوية . وهكذا كان معاوية يقول لعماله ،
وربما شاطر ورثته . .

وفعل مسلمة بن مخلد عامل معاوية على مصر مثل ذلك : فاتخذ ضياعاً
بمصر وقفها على قومه ، وخلف يوم مات ألف دينار ، وألف ألف درهم .

وجعل عقبة بن عامر الجهني ، وكان عامل معاوية - أيضاً - على مصر ،
ضياعاً بمصر ، وحبس بعضها ، وبني داراً بمصر بالحجارة والحصى ، وخلف
ثلاثين ألف دينار وسبعمائة ألف درهم .

وباع حويطب بن عبد العزى داراً من معاوية بأربعين ألف دينار ،
فقبل له : يا أبا محمد ، أربعون ألفاً ؟ فقال : وما أربعون ألف دينار لرجل
عليه ستة من العيال ؟ .

وكان معاوية يقول : أنا فتقت الملك .

يزيد بن معاوية :

وكان يزيد (١) بن معاوية صاحب طرد ، وجوارح . وكلاب ، وهو ،
ومنادمة على الشراب . فغلب ذلك على أصحابه : وفي عصره ظهر الغناء بمكة
والمدينة ، واستعملت الملاهي ، وأظهر الأشراف الشراب .

(١) في الأصل الأصيبة

(٢) بويج مستهل رجب سنة ٦٠ هـ (٢ : ٢٤١ - اليعقوبي) وكان أشد الناس كلفاً
بالصيد لا يزال لاهياً به ، وكان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب ، والجلال المنسوجة
حنه ، ويهب لكل كلب عبداً يخدمه (٥٥ : تاريخ الدول الإسلامية) وكان موافق الرغبة في
الفهو والقنص والخمر والنساء والشمر (١١٣ : نفسه) .

عبد الملك بن مروان :

ثم كان عبد الملك بن مروان (١) ، فكان صارماً ، حازماً ، بنحيلة ، يحب الشعر والفخر ، والتقريظ والمدح ، وكان في عصره فحول الشعراء : جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، وغيرهم . وكثر الشعر في أيام عبد الملك ، وامتدحت الشعراء والأمراء والأشراف وطلبت الثواب .

وكان لعبد الملك إقدام على الدماء ومعالجة ، فكان من عماله على مثل مذهبه : الحجاج بالعراق ، والمهلب بخراسان ، وهشام بن اسماعيل الخزومي بالمدينة ، وعبد الله بن عبد الملك بمصر ، وموسى بن نصير اللخمي بالمغرب ، ومحمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج باليمن ، ومحمد بن مروان بالجزيرة والموصل . وكلهم جائر ، ظالم ، غشوم ، عسوف ! وكان الحجاج من أظلمهم وأقدمهم على الدماء .

الوليد :

وكان الوليد (٢) بن عبد الملك جباراً ، عنيداً ، ظلوماً . وكان عماله في جميع البلدان على مثل مذهبه ، فكان عمر بن عبد العزيز يقول : الوليد بالشام ، والحجاج بالعراق ، وعثمان بن حيان بالحجاز ، ومحمد بن يوسف باليمن ، وقررة بن شريك بمصر ، وموسى بن نصير بإفريقية ؟ امتلات الأرض جوراً ! .

ولم نعرف من مذهب الوليد بن بناؤه المساجد (٣) ، فإنه بنى مسجد دمشق .

(١) ملك في رمضان سنة ٦٥ هـ (٢ : ٢٦٩ - اليعقوبي) كان قبل الخلافة من فقهاء المدينة ، ويسمى حمامة المسجد لمداومة قراءة القرآن ، فلما استخلف انقلب ملكاً جباراً ، يدبر للمكرودينه : سلط الحجاج بن يوسف على الناس ، وغزا الكعبة ، وقتل عبدالله بن الزبير وأخا مصعباً قبله (١٢٢ : تاريخ الدول الإسلامية) .

(٢) ولي الوليد للنصف من شوال سنة ٨٦ هـ .

(٣) يخالف هذا قول ابن طباطبا : « وكان شديد الكلف بالعمارات والأبنية واتخذ المصانع والضياع وكان الناس يلتفتون في زمانه فيسأل بعضهم بعضاً عن الأبنية والعمارات » (١٢٧ : تاريخ الدول الإسلامية) .

سليمان بن عبد الملك :

ثم كان سليمان بن عبد الملك بن مروان (١) ، فكان صاحب طعام ، وأكل كثير يتجاوز المقدار ، ولباس الثياب الرقاق ، وثياب الوشي : جبابا ، وأردية ، وسراويلات ، وعمائم ، وقلائس ، فكان لا يدخل أحد من أهل بيته عليه إلا في الوشي . وكذلك عماله ، وأصحابه ، وخدمه ، ومن في داره . وكان لباسه في ركوبه ، وجلوسه ، وعلى المنبر . وكان لا يدخل إليه أحد من خدمه إلا في الوشي حتى الطباخ ، فإنه كان يدخل إليه في جبة وشي وطولة وشي .

عمر بن عبد العزيز :

ثم كان عمر بن عبد العزيز بن مروان (٢) ، فولى بتواضع ، ونسك ، وتزهد ، ودين ، وتقريب لأهل الفضل ، فعزل عمال الوليد ، واستعمل أصلح من قدر عليه ، فكان عماله يذهبون مذهبه ، وارتفع عن الناس ما كانوا فيه من الجور والظلم ، ، وترك لعن على بن أبي طالب - عليه السلام - على المنابر ، وجعل مكانه : (اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) (٣) فاستعمل الناس ذلك في الخطبة إلى هذه الغاية .

(١) ولى للنصف من جمادى الأولى سنة ٩٦ هـ . كانت أيامه ذات فتوح متوالية ، وكان غيوراً شديداً الغيرة ، وكان نهماً : فيقال : إن الطباخ كان يأتيه بالشواء فلا يصبر حتى يبرد ، يأخذه بكمه . وقد أهدى الرشيد إحدى جبابت سليمان الملوثة الأكام بالدهن للاصمعي حين حدثه لأصمعي بخبره ، وكان الرشيد يظنه أثر طيب . (تاريخ الدول الإسلامية) .

(٢) ولى رضى الله عنه - لعشر خلون من صفر سنة ٩٩ هـ « وكان عمر بن عبد العزيز صاحب عبادة وتلاوة ، فكان الناس إذا تلاقوا في أيامه سأل بعضهم بعضاً : ما وردك الليلة ؟ وك تحفظ من القرآن ؟ وك تقوم من الشهر ؟ » .

(٣) : تاريخ الدول الإسلامية) .

(٣) وقيل : إنه جعل مكانه قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان . . . الآية » فدحه بذلك الشعراء ومنهم كثير الذي يقول :

وليت فلم تشتم عليا ، ولم تحف بريا ، ولم تتبع مقالة مجرم

(١٢٩ : تاريخ الدول الإسلامية)

يزيد بن عبد الملك :

وكان يزيد بن عبد الملك (١) هو أول خليفة اتخذ قينة ، وغلبت على أمره امرأة ، فكانت حباية جاريتها المغنية تولى وتعزل ، وتطلق وتحبس ، وتأمر وتنهى ! وكان مع ذلك يسرع ، إلى الدماء والأموال ، وعاود عماله ما كانوا عليه من الجور .

هشام :

ثم كان هشام بن عبد الملك (٢) بن مروان . كان خشناً ، فظاً ، غليظاً ، بخيلاً ، يجمع الأموال ، ويعمر الأرض ، ويستجيد كل شيء يعمل له من الكسوة والفراس ، ويعاقب على التقصير فيه بأغلظ عقوبة . وفي أيامه عمل الخبز (٣) والرقم ، وكان الناس جميعاً في أيام هشام على مثل مذهبه ، في منع ما بأيديهم ، وقلة الإفضال ، وانقطاع الرفد ، حتى إنه يقال : لم ير زمان أصعب على الناس من زمانه ، وذلك أنه منع ما كانت الخلفاء تفعله من البذل ، والعطايا ، والجوائز ، والصلوات . فاستعمل (٤) الناس ذلك ، وسلكوا سبيله ، واقتدوا به . وقال له أبو حازم الأعرج (٥) :

إنما أنتم سوق يحمل إليكم ما نفق عندكم .

(١) ولى في رجب سنة ١٠١ هـ وهو « خلیع بنی أمیة : شفق بجاریتین اسم إحداهما سلامة ولسم الأخرى حباية ، فقطع معهما زمانه » وغنته حباية يوماً فأقسم أن يطير . فقالت : على من تدع الأمة ؟ قال : عليك ، وقبل يدها ، حتى قال خدمه : سخنت عينك ما أسخفك . (١٣١ : تاريخ الدول الإسلامية) .

(٢) ولى في رمضان سنة ١٠٥ هـ وكان من أحزم بنى أمية إلا أنه بخيلاً كان حسوداً فظاً غليظاً ظلوماً . . . وعمل الخبز الرقم وغيره ، والوشى والأرمني وأصناف الثياب «

» (٢ : ٣١٨ - اليعقوبي) والرقم - كما في القاموس : ضرب منحطط من الوشى أو الخبز أو البرد .

(٣) الرقم : ضرب منحطط من النسيج .

(٤) في الأصل : (فاستعملوا الناس ذلك) .

(٥) كان أبو حازم الأعرج من الفقهاء الواعظين أيام هشام .

(٢ : ٣٣٠ : اليعقوبي)

الوليد بن يزيد :

وكان الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١) صاحب شراب ، وهو ، وطوب ، وطر ، وسماع للغناء ، وهو أول من حمل المغنين من البلدان إليه ، وجالس الملحنين ، وأظهر الشراب والملاهي والغزف . وكان في أيامه : ابن سريج المغني ، ومعبد ، والغريص ، وابن عائشة ، وابن محرز ، وطويس ، ودحلان (٢) .. وغلبت (٣) شهوة الغناء على الأشراف ، واتخذ الناس العيدان . وكان مهتكاً ، ماجناً ، خليعاً .

(١) ولي لعشربقين من ربيع الأول سنة ١٢٥ هـ (٢ : ٢٣١ : اليعقوبي) بلغ من مجونه أنه أراد أن يبني على الكعبة بيتاً يجلس فيه للهو ، ووجه مهندساً لذلك . . . (٢ : ٢٣٣ : اليعقوبي) وقد أدى انهماكه في اللهو ومناضبته أكابر أهله إلى قتله . (٢٥٠ : تاريخ الخلفاء) .
(٢) هؤلاء السبعة من أشهر المغنين :

ابن سريج : عبائه بن سريج ، وكنيته أبو يحيى أول من ضرب بالعود على الغناء المتفنن بالحجاز بعد طويس . كان يقال : ما خلق الله تعالى بعد داود عليه السلام أحسن صوتاً من ابن سريج . كأنه خلق من كل قلب فهو يغني لكل إنسان .
ومعبد : هو أبو عبادة معبد به وحب مود بن قنر من موالى معاوية ، غنى أول دولة بني أمية ومات أيام الوليد بن يزيد الذي تولى في داره تجهيزه ودفنه ومشى متجرداً في قيص وراه بين يدي سريه إلى قبره . وفيه يقول الشاعر :

أجاد طريس والسريجي بعده وما قصبات السبق إلا لمعبد

والغريص : هو عبد الملك وكنيته أبو يزيد وقيل أبو مروان وقد لقب بالغريص لظراوة وجهه . . سمع الوليد بمكة وسربه ، وكانت وفاته أيام سليمان بن عبد الملك .
وابن عائشة : هو محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر ولم يعرف له أب ، أخذ عن معبد ومالك ولم يموتا حتى ساواهما وكان يقفن كل من سمعه حتى ضرب به المثل ، طرب الوليد لغنائه حتى كفر وألحد . كما أخبروا - فقال : يا غلام ، اسقنا باليهاء الرابعة . . .
وابن محرز : هو أبو الخطاب بن محرز مولى بني عبد الدار أخذ عن عزة الميلاء وابن مسجج ، وهو أحد الفحول الخمسة الذين ظهروا في الحجاز .
وطويس : هو عيسى بن عبدالله مولى بني مخزوم ، أول من غنى بالعربية في المدينة من الموالى وألقى الخنث بها .

ودخان : عبد الرحمن بن عمر مولى بني ليث بن بكر . استقدمه الوليد فظل أثيراً عندهم إلى نهايته . انتظر أخبارهم في الأغاني ، وجمهرة المغنين ، وكتب تاريخ الأدب .
(٣) في الأصل : وغلط .

يزيد بن الوليد :

وكان يزيد بن الوليد بن عبد الملك (١) ، فلم تطل أيامه فتعرف أخلاقه ومذهبه ، إلا أنه كان يقول بالاعتزال ويحاج فيه .

مروان بن محمد :

وكان مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (٢) ، فكان في أيامه (٣) كلها في حروب ، لإلأنه أول خليفة أظهر العصبية ، وأوقعها من المنابر ، وكان كاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعد صاحب الرسائل ، وكان في أول أمره معلماً ، وهو أول من أطلال الرسائل واستعمل التعميدات في فصول الكتب ، فاستعمل الناس ذلك بعده .

ذكر خلفاء بني العباس

أبو العباس السفاح :

ولى أبو العباس أمير المؤمنين ، وهو عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب (٤) . وكان أول ما فعله فامتثلته الناس ، أنه خطب على المنبر قائماً ، وكانت بنو أمية تخطب قعوداً ، فناداه الناس : يا ابن عم رسول ، أحيت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان سريعاً إلى

(١) ملك يزيد بن الوليد مستهل رجب سنة ١٢٦ هـ وكانت ولايته خمسة أشهر ، وسمى الناقص ، لأنه نقص من أعطيات أهل الحجاز . (١٣٦ : تاريخ الدول الإسلامية . و ٢ : ٣٣٥ يعقوب) .

(٢) ملك في صفر سنة ١٢٧ هـ وكان قد سبقه إبراهيم بن الوليد فلم يلبث غير أربعة أشهر ، ومروان هو آخر خلفاء بني أمية ، وعنه انتقلت الدولة إلى بني العباس . (١٣٨ : تاريخ الدول الإسلامية) .

(٣) في الأصل : في أيامها .

(٤) بويج بالخلافة سنة ١٣٢ هـ (١٥١ : تاريخ الدول الإسلامية) .

الأمر بسفك الدماء (١) : فسفك الأشعث بالمغرب ، وصالح بن علي بمصر ، وسفك خازم (٢) بن خزيمية ، وسفك خميد بن قحطبة (٣) بالعراق ، وسفك عبدالله بن علي بالشام ، وسفك داود بن علي بالحجاز ، وسفك يحيى بن محمد أخوه بالموصل ، وكان مع ذلك سمحا ، وصولا ، جواداً بالمسال .

أبو جعفر المنصور :

وكان أبو جعفر المنصور ، عبدالله بن محمد (٤) ، فكان أول هاشمي أوقع الفرقة بين ولد العباس بن عبدالمطلب وأبي طالب بن عبد المطلب ، حتى قيل : عباسي وطالبي . وقيل : كان ذلك أمر بني (٥) هاشم كلهم . وكان أول خليفة اتخذ المنجمين ، وعمل بالنجوم ، وكان أول خليفة ترجم الكتب القديمة العجمية ، ونقلها إلى اللسان العربي ، وفي أيامه ترجم كتاب كليلة ودمنة وترجم كتاب السندهند (٦) ، وترجم كتب أرسطاطاليس ،

(١) من ذلك أنه كان في مجلس الخلافة يوماً وعنده سليمان بن هشام فدخل سديف الشاعر فقال :

لا يفرنك ما ترى من رجال إن تحت الضلوع داه دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا
فلم يلبث سليمان أن قتل . وكان عنده سبعون من بني أمية على طعام فقتلوا جميعاً لأبيات استغزاه بها من يقول :

لا تقيلن عبد شمس عشارا واقطعن كل رقلة وغراس
ذها أظهر التودد منها وبها منكم كحز الموائس
(١٥١ : تاريخ الدول الإسلامية)

(٢) دعاه أبو جعفر المنصور مع ابراهيم بن عقيل لينطلقا في عشرة من الرجال إلى ابن هبيرة فكانت نهايته ونهاية أهله وخدمه على يد خازم ومن معه .
(٣٥٥ : الإمامة والسياسة)

(٣) في الأصل : كحطبة .

(٤) تولى الخلافة : أبو جعفر لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ١٣٦ هـ .

(٥) في الأصل : بنو .

(٦) السندهند : معناه دهر الدهور ، ينسب إلى برهم ، وهو من كتب الهند للقدماء .

الفلك ، وقد اختصر منه الأريجهر والمجسطي .

به ، وكان قصده قتل الزنادقة ، وذلك أنهم كانوا قد كثروا ، ومما كان ابن المقفع ترجمة من كتب ماني الثنوية (١) ، وكتب أيضاً في الثنوية وغيرهما ، وما وضعه ابن أبي العوجاء ، وحامد عجرد ، ويحيى بن زياد ، ومطيع بن إياس (٢) ، وملاؤوا به الأَرْض من كتب الملحدّين ، وكثُرَب الزنادقة ، وفشت كتبهم في الناس . وكان أول خليفة أمر المتكلمين أن يضعوا الكتب على أهل الإلحاد . وبنى المسجد للحرام على ما هو عليه إلى هذه الغاية . وبنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الزلازل هدمته .

موسى بن المهدي :

ثم كان موسى بن المهدي (٣) ، فكان جباراً ، وكان أول خليفة مشت الرجال بين يديه بالسيوف المسللة والعمد ، والقسي (٤) الموترة ، فتشبه عماله به ، وذهبوا مذهبه .

(١) ماني بين فتق أوفاتك ظهر زمان سابور بن أردشير ، كان مجوسياً فأحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية هو الثنوية : نسبة إلى اثنين أزليين يقودان العالم متساويين في القدم ، هما النور والظلمة خالق خير وخالق شر . وقد ترك ماني كتباً كثيرة في بيان مذهبه (٢ : ٤٩ : الملل والنحل .) . و (١ : ١٥٩ : اليعقوبي) .

(٢) اتهم هؤلاء الأربعة بالزندقة والفساد ، غير أن من المترجمين من لا يذكر ابن أبي العوراء في الزنادقة .

وهو فليح بن أبي العوراء مولى بني مخزوم من أهل مكة ، أول المغنين الذين رفع المهدي بينه وبينهم الستار فغناه مواجهة . كان من أهل العريضة والشراب .

أما حماد عجرد بن عمر بن يونس فهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . شاعر متهم بالزندقة وهو من نادموا الوليد بن يزيد ، وكان بينه وبينه وبينه أهاج مقدعة .

ويحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثي شاعر ماجن يرمي بالزندقة ، من أهل الكوفة توفي أيام المهدي العباسي .

ومطيع ابن إياس الكنتاني شاعر ماجن متهم بالزندقة كان صديقاً لحماد عجرد توفي أيام المهدي كذلك .

(٣) هو موسى الهادي ، بويح سنة ١٦٩ هـ وكان « متيقظاً ، غيوراً ، كريماً ، شهماً ، أيداً ، شديد البطش ، جرىء القلب ، مجتبع الحس ، ذا إقدام وعزم وحزم » (١٨٩ : تاريخ الدول الإسلامية) .

(٤) القسي : جمع قوس : من آلات القتال . والموترة : المجهزة بشد أوتارها . استعداداً لإستعمالها .

هارون الرشيد :

ثم كان هرون الرشيد بن المهدي (١) فكان متابعاً للحج والغزو ، وبناء المصانع والقصور في طريق مكة والمدينة ، وبمكة والمدينة ، ومنى وعرفات وبنى ثمانية (٢) ثغور : مثل طرسوس وغيرها ، وبنى دوراً للمرابطين . فتشبه أهله وعماله وأصحابه وكتابه به ، فلم يبق أحد إلا بنى بمكة داراً ، وبالمدينة داراً ، وبطرسوس داراً ، تشبهاً به ، وعملاً بمثل عمله ، وكان أكثرهم لذلك فعلاً ، وأحسنهم أثراً ، زوجته أم جعفر بنت جعفر بن المنصور ، (٣) ثم البرامكة وزراؤه ، وغيرهم من مواليه وقواده وكتابه . وكان الرشيد مع ذلك أول خليفة ضرب بالصوالة ، والطباطب ، ورمى بالنشاب (٤) في البرجاس ، وقدم أهل الخندق بذلك ، وأول خليفة لعب بالشطرنج والزرذ ، وقدم للعب ، وأجرى عليهم الأرزاق ، وأول خليفة اتخذ القيان (٥) من بنى هاشم ،

(١) بويج هارون الرشيد بالخلافة سنة ١٧٠ هـ .

(٢) في الأصل : ثمان .

(٣) هي زبيدة أم محمد الأمين ، هاشمية أصيلة ، حتى قيل : « لم يكن في الخلفاء هاشمي الأيوين غير علي بن أبي طالب ومحمد » الأمين بن الرشيد (٢ : ٤٣٣ : اليعقوبي) . وكانت من شهيرات النساء فصاحة ، حتى قال المأمون ، وقد عزت نفسها به عن ابنها بعد مصرعه بأوجز عبارة وأوقع معنى : « ما تلد النساء مثل هذه ! فإذا أبت في هذا الكلام لبلغنا الرجال ؟ » (٢١٩ : خلاصة الذهب المسبوك) .

أعرس بها الرشيد سنة ١٦٥ هـ في خلافة المهدي ببغداد « (١٠ : ١٢١ تاريخ الأمم والملوك) (٤) الصوالة : جمع صولجان وهو المحجن : عود معوج الطرف يجذب به الشيء . والطباطب جمع طبطابة : خشبة عريضة تلعب بها الكرة . والنشاب : النبل ، مفردة نشابة بالثاء .

(٥) أخذ الرشيد بحظ من الدنيا لم ينسه عمل الآخرة ، وتاريخه حافل بالبر والصلاح وتكريم العلماء والواعظين ، والبكاء الناشئ عن سرعة التأثر كلما سمع أو رأى ما يذكر بالموت والدار الآخرة . قال الأصمعي : صنع الرشيد طعاماً ، وزخرف مجالسه ، وأحضر أبا العتاهية ، وقال : صف لنا ما نحن فيه من نعيم الدنيا ، فقال :

عش ما بدالك سالماً في ظل شاهقة القصور
فقال الرشيد : أحسنت ! ثم ماذا ؟ فقال :

يسمى إليك بما اشتهيت لدى الرواح أو البكور
فقال : حسن ! ثم ماذا ؟ فقال :

فإذا النفوس تقعقت في ظل حشجة الصدور
فهناك تم - لم موقنا : ما كنت إلا في غرور =

فتشبه الناس جميعاً به ، وسلوكوا سبيله ، وكان وزراؤه من البرامكة ، فكان يحيى بن خالد يحب الحكمة والكلام والنظر ، ففي أيامه كثر المتكلمون ، وجادلوا ، وناظروا ، ووضعوا الكتب ، منهم : هشام بن الحكم ، وضرر ابن عمرو ، ومعمرو بن عمر ، وهو أيضاً نظر في كتب الكيمياء ، فكانت البرامكة سمحاء كرماء ، أجرداً معطين مفضلين ، فتشبه عمالهم والناس جميعاً بهم ، حتى إن أيام الرشيد كانت تسمى لكثرة من كان بها من المفضلين أيام العرس .

وأفعال البرامكة مشهورة معروفة ، ولم يكن في ناحية الرشيد إلا مفضل إما حقيقة وإما على التشبيه .

وكان الرشيد أول خليفة كتب في صدور الكتب : « وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم » فامتثلت الخلفاء ذلك بعده . وأول خليفة يلبس القلنسوة الطويلة الرصافية ، وأول خليفة كتب على الأعلام السود بالبياض « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

أم جعفر :

وأما أم جعفر بنت جعفر بن المنصور ، فإنها كانت تريد أن تتقدم الرشيد في كل شيء من جد وهزل ، فأما الجد فالآثار الجميلة التي (٢) ليس في الإسلام مثلها : فإنها حفرت عين المشاش ، وساقها اثني عشر ميلاً إلى مكة ، وأنفقت عليها ألف ألف وسبعمائة ألف دينار ، ثم اتخذت المصانع ، والسقايات ، والمتوضآت حول المسجد الحرام ، وبنت دور السبيل ، ومصانع بنمي وعرفات ، وسقايات ، وحفرت آباراً في منى على طريق مكة ، ووقفت على ذلك ضياعاً غلتها ثلاثون ألف دينار في السنة ، وبنت في الثغور دور السبيل ، وعملت البيمارستانات ، وحبست ضياعاً على الثغور ، وعلى الفقراء والمساكين ، غلتها مائة ألف دينار .

= فبكى الرشيد ، فقال الفضل بن يحيى : بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فحزنته ، فقال الرشيد : دعه فإنه رأنا في عمى فكره أن يزيدنا منه (١٩٣ : تاريخ الدول الإسلامية وأحاديث الوعاظ معه كثيرة راقصة .

(١) في الأصل : الحسن .

(٢) في الأصل : (الذي) .

وأما ما يتلین به الملوك وینعمون به ، فهی أول من عمل فی الإسلام الآلة من الذهب والفضة المكللة بالجوهر ، واتخذت رفیع الوشی ، حتی بلغ ثوب وشی عمل لها خمسين ألف دينار ، وأول من اتخذ الشاكرية من الخدم والجوارى* : یركبون الدواب ویتخلفون فی حوائجها برسائلها وكتبها . وأول من عمل القباب من الفضة والآبنوس والأصندل ، ورأسها وكلايها من الذهب والفضة ، ملبسة الوشی والسمور (١) والديباج ، والخز والملحم والديبقي ، وأول من اتخذ القمص اللؤلؤ مفصلة بالجوهر وشمع العنبر ، وتشبه الناس بأمر جعفر فی جميع أفعالها .

محمد الأمين :

وكان محمد الأمين بن الرشيد (٢) ، وأمه أم جعفر ، فقدّم الخدم وآثرهم ، ورفع منازلهم ، فلما رأت أم جعفر [استضعافه] (٣) بالخدم ، اتخذت الجرارى المعدودات الحسان الوجوه ، فطرت (٤) روعسهن ، وجعلت لمن الطرر والأصداغ وشعور الأقفاء ، وألبستهن الأقبية والمناطق (٥) . وكانت

(١) السمور : كتثور فراء ثمينة تؤخذ من دابة بهذا الاسم .

(٢) بویع له سنة ١٩٣ هـ للنصف من جمادى الآخرة (١٠ : ١٢٤ - تاريخ الأمم والملوك) حن عهد إليه الرشيد قال : سايح الخاسر وكان الأمين ابن خمس سنين :

قد وفق الله الخليفة إذ بنى بيت الخلافة للهجان الأزهر
فهو الخليفة عن أبيه وجده شهيدا عليه بمنظر وبمخبر
قد بايع الثقلان في مهد الهدى محمد بن زبيدة ابنة جعفر

(١٠ : ٥٣ - تاريخ الأمم والملوك)

اشتغل الأمين عن الخلافة وتبعاتها الجسم « . . . طلب الحصيان وابتاعهم ، وغالى بهم ، وصيرهم لخلوته في ليله ونهاره ، وقوام طعامه وشرابه ، وأمره ونهيه . . . ووجه إلى جميع البلدان في طلب الملهمين ، وضمهم إليه وأجرى عليهم الأرزاق . . . واحتجب عن إخوته وأهل بيته وقواده واستخف بهم ، وقسم ما في بيوت المال وما بحضرته من الجوهر في خصيانه وجلسائه ومحدثيه . . . (١٠ : ٢١٥ - تاريخ الأمم والملوك)

(٣) لفظ غامض .

(٤) الطرة بالضم . . . أن تقطع للجارية في مقدم ناصيتها كالعالم تحت التاج (القاموس المحيط) .

(٥) المناطق : جمع منطقة أو منطق على وزن مكنسة أو منبر ما يشد به الوسط . والأقبية :

جمع قباء بفتح القاف ثوب خارجي ذو شكل معين كالجمبة .

* وردت هذه الكلمة في المخطوطة مرسومة هكذا : الجوار .

أون من فعل ذلك ، وبعثت بهن إليه ، وأبررتهن للناس ، فاتخذ الناس من الخاصة والعامه الجوارى المطرورات (١) ، وألبسوهن الأقيية والمناطق ، وسموهن الغلاميات (٢) ، وقصرت أيام محمد حتى قتل .

المأمون :

وكان المأمون أمير المؤمنين ابن الرشيد (٣) ، فكان في أول خلافته يغلبه الفضل (٤) ، يستعمل النجوم والنظر فيها ، ويذهب مذاهب ملوك الفرس ، ويشتهى قراءة الكتب القديمة ، فلما قدم العراق اطرح ذلك ، وأظهر القول بالعدل والتوحيد ، وجالس المتكلمين ، والفقهاء ، والأدباء وأقدمهم من البلدان ، وأجرى لهم الأرزاق ، فكثرت المتكلمون في أيامه ووضع كل امرئ كتاباً ينصر قوله ويرد على من خالفه ، وكان أكرم الناس عفواً ، وأحسنهم (٥) مقدرة ، وأجودهم بالمال وأبذلهم للعطايا .

فأما عفوه: فإنه عفا عن إبراهيم [بن] المهدي وقد خلعه إبراهيم بعد أن كان عامله على البصرة ، ردعا لنفسه ، وتسمى يأمر المؤمنين ، وحارب أصحابه . وعفا عن الفضل بن الربيع ، وهو الذي كان حمل محمداً (٦) على خلعه من ولاية العهد ، ووجه الجيوش لمحاربتة ، ثم أعطاه الأمان فنكث ودعا الناس إلى البيعة لإبراهيم بن المهدي . وعفا عن سليمان بن (أبي) جعفر ابن سليمان وقد خلعه وقال فيه أقبح القول . وعفا عن نعيم بن خازم وقد أقام محاربه عدة سنين . وعفا عن عيسى بن محمد بن أبي خالد - وقد نكث بيعته مرة بعد أخرى وحارب أصحابه - حتى قتل صاحب شرطته ، وعفا عن

(١) في الأصل : المطبومات .

(٢) نسبة إلى الغلام للمشابهة في المظهر .

(٣) بويغ له ، البيعة العامة ببغداد سنة ١٩٨ هـ .

(٤) الفضل بن الربيع من أعظم رجال الأمين ثم المأمون بعد عفوه عنه .

(٥) مكان أحسنهم غير واضح في الأصل .

(٦) هو محمد الأمين أخو المأمون .

سهل بن سلامة المطوعي ، وكان يلبس الصوف ، ويعلق المصحف في عنقه ، ويأمر الناس بخلع المأمون ، وألا يعطيه أحد طاعة . وعفا عن مهدي بن علوان الساري ، وقد تسمى بأمر المؤمنين ، وحارب أصحابه ، فظفر به بغير عهبة ولا أمان . وعفا عن دعبل الشاعر وقد هجاه بأقبح هجاء (١) . وعفا عن عبيد (الله) بن السري بن الحكم المتغلب على مصر ، وقد أقام (٢) محاربه عدة سنين . وعفا عن محمد بن جعفر بن محمد العلوي وقد خرج بمكة وتسمى بأمر المؤمنين . وعفا عن زيد بن موسى بن جعفر ، وقد خرج بالبصرة وخلق المأمون . وعفا عن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي ، وقد خرج باليمن وحارب الجلودي (٣) . وعفا عن جميع المتغلبين : مثل رباح بن أبي رمثة المتغلب بديار ربيعة ، والعباس بن زفر الهلالي ، المتغلب بقورس من جند قنسرين ، ونصر بن شبت العقيلي ، المتغلب بديار مصر ، مع محاربهه أياماً ، وعن عثمان بن ثمامة العبسي الخارج عليه بالحجاز ، وعن الحوازي ابن حنطان (٤) التنوخي ، الخارج بحاضر تنوخ . وعن غير هؤلاء ممن لو ذكرناه لطال الكتاب : وقال : حبيب إلى العفو حتى ما أراني أوجر عليه ! (٥) .

وأما الجود والسماحة فإنه أمر في يوم واحد لثلاثة نفر بألف ألف وخمسمائة ألف دينار ، لكل واحد خمسمائة ألف دينار . وقل المال في بيت المال ،

(١) من هجاء دعبل للمأمون قوله :

إني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد !
شادوا بذكرك بعد طول خوله واستنقذك من الحضيض الأوهد

فلما بلغه لم يزد على أن قال : قاتله الله ما أشد بهتانه ! متى كنت خاملاً وفي حجر الخلافه نشأت وبدرها أرضعت ؟ .

(٢٠ : تاريخ الدول الإسلامية)

(٢) مكررة في الأصل .

(٣) هو عيسى بن يزيد الجلودي من قواد الجيش في دولة المأمون .

(٤) في الأصل حطان .

(٥) تمامه فيما نقلوا : « ولو علم الناس حبي للعفو لتقربوا إلى بالجرائم » (١٩٢ : خلاصة

الذهب المسبوك) .

فجمع أصحابه وقال : إنه قد قل وأضر ذلك بنا وبأوليائنا ، فاستقرضوا لنا من التجار مقدار عشرة آلاف درهم إلى أن تأتي الأموال فردها . فقام غسان بن عباد فذكر ما أنعم به عليه ، وعرض ثلاثين ألف ألف درهم ، وقال : هي حاصلة عندي . وقام حميد بن عبد الحميد الطوسي وقال مثل ذلك . وقام من حضر المجلس من أصحابه فعرض ما عنده ، حتى بلغ ما عرضوا عليه مائة ألف ألف (١) وستة وخمسين ألف ألف درهم ، فلم يقبل من أحد منهم شيئاً وجزاهم (٢) الخير .

وتأخرت الأموال ، وبشر بموافاة مال خراج فارس ، فركب ينظر إليه ، ثم فرقه كله ، فلم يبق إلا مقدار عطاء الجند ، فأمر المعلى بن أيوب بقبضه .

وكان أصحابه ، ووزراؤه ، وكتابه ، وقواده ، يتقبلون (٣) فعله ، ويسلكون سبيله ، ويذهبون مذهبه . فمنهم : الحسن بن سهل ، وكان أكرم الناس وأجودهم وأكثرهم إفضالاً ، وأجملهم لئابة فادحة ، وأصبرهم على إعطاء كل من سأله (٤) وكان حميد بن عبد الحميد الطوسي جواداً سمحاً مفضلاً ، ووقف ضياعاً غلتها في السنة مائة ألف دينار على أهل البيوتات وذوى الأقدار ، وكان لا يرد أحداً .

(١) في الأصل (وست) .

(٢) دعا لهم أن يجزيهم الله الخير .

(٣) في القاموس : تقيل أياه : أشبهه ، والمراد : يتشبهون به في فعله .

(٤) وقف بباب الحسن رجل يلتمس صلته ، فاشتغل عنه قليلاً بهم له ، فكتب الرجل إليه :

المال والعقل ما يستمان به
على المقام بأبواب السلاطين
وأنت تعلم أني منهما عطل
إذا تأملتني يا ابن الدهاقين
أما تلك أنواني على عدى
والوجه أني رئيس في المجانين
والله يعلم ما للملك من رجل
سواك يصلح للدينا وللدنين

فأر له بعشرة آلاف درهم ، ووقع في رقته :

أعجلتنا فأنك عاجل برنا
قلنا ، ولو أنظر تنا لم نقلل
منخذ القليل وكن كأنك لم تسل
ونكون نحن كأننا لم نسال

وكان غسان بن عباد سمحا : فرق في يوم واحد ثلاثة عشر ألف ألف درهم ، وكان إذا سأله أحد حاجة يكلم فيها المأمون أعطاه من ماله وكلم المأمون .

وكان عبدالله بن طاهر عظيم المروعة ، حسن الاحتمال ، حسن الإجمال : أمر في يوم واحد لثلاثة من أصحابه بثلاثمائة ألف دينار ، لكل واحد بمائة ألف دينار ، ولثلاثة نفر بمائة وخمسين ألفا ، لكل واحد بخمسين ألف دينار . وكان علي بن هشام أسمح الناس ، وأحسنهم مروعة ، وكان مطبخه يحمل إذا سافر على سبعمائة بعير . وكان أحمد بن يوسف كاتبه عظيم المروعة ، وكان الناس عامة على أخلاق محمودة .

وشغب الجند ببغداد فكثُر ضجيجهم لتأخر أرزاقهم ، فخرج إليهم فرج الرحيمى فضمن لهم أرزاق سنة ، ثم دفعها إليهم من ماله .

وكان [المأمون] (١) أول خليفة كتب على عبارات كتبه « بسم الله الرحمن الرحيم » وأول خليفة صير ديوان العرض للجند ، وأول خليفة أرخ الكتب باسم كاتبه وإنما كانت تؤرخ باسم المحرر فبقيت هذه الرسوم (٢) :

المتنصم :

ثم كان المتنصم ، وهو محمد بن هرون الرشيد (٣) ، فسلك في المقالة في

(١) مزيد لطول الفصل .

(٢) وفي المناسبة يقول هلال بن الحسن : « وشاهدت كتاباً بخط المأمون - صلوات الله عليه - وفي آخره : وكتب أمير المؤمنين بيده . ثم اعتدت هذه الحسالة منزلة فيها نباهة وجلالة فأضافها الوزراء إلى نفوسهم وجعلوا ما يصدر من الكتب تونوها أو تولوها كتابهم عنهم بأسمائهم . . . » .

ص ١٢٤ رسوم دار الخلافة لأبي الحسن هلال ابن الحسن الصائغ - بتحقيق ميخائيل عواد بغداد ١٩٦٤ .

(٣) بويح المتنصم لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨ هـ وكان المتنصم ظاهر الخزم والمناقب وإعزاز الدين ، وكان له في خلافته فتوح لم تكن لأحد من الخلفاء ، وهي ثمانية بلدان منها عمورية ، وقتل ثمانية ملوك لكل منهم معه خبر طريف يطول بيانه . قيل : لم يكن في بني العباس من قبله أشجع منه ولا أتم تيقظاً في الحرب ولا أشد قوة ، وكان يلوى العمود الحديد حتى يصير طوقاً ، ويشد على الدينار بإصبعه فيمحو كتابته . (٢٢١ : خلاصة الذهب المسبوك) .

الدين مذهب المأمون ، وكان الذي غلب عليه الفروسية والتشبه بالعجم ، فلبس الثياب الضيقة الأكمام ، فضيق الناس أكمام ثيابهم ، ولبس الخفاف الكبار ، والشاش المربعة . وكان أول من لبس شاشية مربعة : فلبسها الناس تشبهاً به ، ونسبت إليه . فقيل (١) : الشاشي المعتصمية . .

وكان أول خليفة ركب السروج المكشوفة ، واتخذ الآلات العجمية ، فتشبه الناس به ، ولم يكن في عصره من وزرائه ، وقواده ، وكتابه ، من يوصف بإعطاء ولا جود ولا احتمال إلا الحسن بن سهل على تقاصر أحواله . وابن أبي دؤاد ، فإنه كان ذا فضل ومعروف كثير ، وكان ابن أبي دؤاد غالباً على أمره ، مقدماً عنده .

الوائق :

ثم كان هرون الواثق بن المعتصم (٢) ، فكان مذبذب في الدين والقول بالعدل على مذهب أبيه المعتصم وعمه المأمون ، وأظهر ذلك . وامتنحن عليه ، وعاقب من خالفه ، وحبس من أبدى عناداً فيه ، وكتب إلى القضاة في الآفاق أن يمتحنوا العدول فلا يقبلوا شهادة من لم يقل بقوله . فغلب هذا على الناس ، وتقربوا به إلى ابن أبي دؤاد ، وإلى التضادة ، ولم يكن في عصره من يفزع إليه إلا ابن أبي دؤاد .

وكان الواثق كثير الأكل واسع الطعام ، كثير الصدقات ، متفقداً لأهل بيته في كل بلد .

(١) في الأصل : (وقيل) .

(٢) ولي الواثق لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة ٢٢٧ هـ .

(٢ : ٤٧٩ - اليعقوبي)

كان يشبه بعنه المأمون في أخلاقه وكرمه وحلمه ، لأنه هو الذي رباه ، فتقبل أمفاله ووجع بالناس وأحسن إلى العلويين ، وكان حسن الفكر في صلاح الرعية ، حافظاً حق من خدمه يتجاوز عن هفواته . (٢٢٢ : خلاصة الذهب المسبوك)

جعفر المتوكل :

ثم كان جعفر المتوكل بن المعتصم (١) ، فأبطل ما كان يقول به الواثق ، وأظهر القول بالسنة والجماعة ، وأطلق من كان في المحابس ممن حبس بسبب عدم القول بخلق القرآن ، ونهى عن الجدل ، وأمر كل من أطلقه من المحدثين أن يتحدثوا ، فترك الناس تلك (٢) المقالة ، وأنكرها من كان يقول بها ، وارتفع الجدل والمناظرة ، وكان مما أحدثه بناء الحبوس والأروقة التي عليها الأبواب ، فبنى الناس جميعاً بسر من رأى هذا البناء . وآثر لبس الثياب الملحم على جميع الثياب ، فكان لباسه ولباس كل من في داره من كبير وصغير ، وارتفع ثمن الملحم في أيامه لجودتها . وكانت أيامه أياماً حسنة ناضرة كثيرة الخير ، على أنه أول خليفة أظهر العيب ، وأطلق في مجلسه الهزل والمضحك ، وأشياء تركنا ذكرها ذاعت في الناس واستعملوها وجروا فيها .

ولم يكن المتوكل ممن يوصف بإفضال ولا جود ، وكان الفتح بن خاقان أغرب الناس عليه ، وأشدهم تقدماً عنده ، ولم يكن ممن يرجى فضله ولا يخاف مكروهه . وكان عبدالله بن يحيى بن خاقان وزيره ، وكان طالباً للسلامة ، له مروعة في نفسه ، ولا إفضال له على أحد ، إلا أن الناس يأمنون منه المكروه ، وكان يعتد عليه بقول لاحقيقة له ، فكان أحمد بن إسرائيل (٣) يقول : تعلمنا منه الكذب .

(١) ولى المتوكل الخلافة لست بقين من ذى الحجة سنة ٢٣٢ هـ . نهى عن الكلام في القرآن . وأطلق من كان في السجون من أهل البلدان ومن أخذ في خلافة الواثق جميعاً ، فخلاهم وكسامهم ، وكتب إلى الآفاق ينهاهم عن المناظرة والجدل فأمسك الناس . (٢ : ٢٨٤ - اليعقوبي) .

(٢) مقالة العدل والتوحيد .

(٣) أبو جعفر أحمد بن إسرائيل الأنباري أحد الكتاب الخذاق الأذكياء ، كان يحفظ . وجود المال دخلاً وخرجاً ، وزر المعترز وحبس ثم ، أفرج عنه ثم ضرب حتى مات .

محمد المنتصر :

وكان محمد المنتصر بن المتوكل (١) ، فلم تطل أيامه فتعرف مذاهبه ،
غير أنه كان بخيلاً ، وكان أحمد بن الحصب (٢) كاتبه ووزيره ، فكان
قليل الخير ، كثير الشر ، شديد الجهل .

المستعين :

وكان المستعين : وهو أحمد بن محمد بن المعتصم (٣) ، فكان أول خليفة
وسع أكام الثياب ، فجعلها ثلاثة أشبار ونحوها ، وصغر القلانس وقصرها ،
ولا يعرف له مذهب اتبعه الناس عليه ، ولا أخلاق يشبه الناس به فيها ،
وشغل عن كل شيء بما تهياً عليه من المخالفة والخلع .

المعتز :

وكان المعتز : وهو أبو عبدالله (٤) بن المتوكل ، أول خليفة ركب
بحلية الذهب ، وكانت الخلفاء تركب بالحلية الخفيفة من الفضة في المناطق
والسيوف والسروج والجمع ، فلما ركب بحلية الذهب اتبعه الناس على ذلك ،
ولم تعرف له أخلاق محمد ولا تدم .

(١) ولى المنتصر منذ قتل أبوه في أربع من شوال سنة ٢٤٧ هـ وكان شيعياً ، ومن شعره :
مى ترفع الأيام من قد وضعه وينقاد لى دهر على جموح
أعلل نفسى بالرجاء وإنى لأغدو على ما سافى وأزوح
(٢) قالوا : كان مقصراً فى صناعته ، مطعوناً عليه فى عقله ، ذا حدة وطيش ، ألح عليه
طالب حاجة وهو راكب ، فأخرج رجله من الركاب فركله فى صدره فقتل بعض الشعراء :
قل للخليفة : يا ابن عم محمد أشكل وزيرك إنه ركال
قد نال من أعراضنا بلسانه ولرجله عند الصدور مجال
(٢٣٩ : تاريخ الدول الإسلامية)

(٣) ولى الخلافة لأربع خلون من ربيع الآخر سنة ٢٤٨ هـ .
(٤) بويح لسبع خلون من المحرم سنة ٢٥٢ هـ (٢ : ٥٠٠ - اليعقوبى) لم يكن بسيرته
ورأيه وعقله بأس ، إلا أن الأتراك استولوا على كل شيء حتى أصابه مصرعه بقسوتهم سنة
٢٥٥ هـ (٢٤٣ : تاريخ الدول الإسلامية) .

المهتدى :

ثم ولى المهتدى (١) ، وهو محمد بن الواثق ، فذهب إلى القضاء في الدين ، وجلس للمظالم ، ووقع بخطه ، وقرب الفقهاء . وكان يقول : يا بني هاشم ، دعوني حتى أسلك مسلك عمر بن عبد العزيز ، فأكون فيكم مثله في بني أمية ، وتقل في اللباس والفراش ، وتوهم الناس عليه أنه يذهب مذهبه أبيه في القول بخلق القرآن .

المعتمد :

والمعتمد ، وهو أحمد (٢) بن المتوكل ، فإنه لم تطل أيامه حتى غلب على أمره فآثر اللذة ، واعتكف على الملاهي ، وغلب أخوه أبو أحمد على الأمور حتى حظر عليه وحبس ، وكان أول خليفة قهر وحجر عليه وحظر .

المعتضد :

ثم كان المعتضد ، وهو أحمد بن أبي أحمد بن المتوكل فكان رجلاً شهماً حازماً . آخر ذلك (٣) .

(١) كانت البيعة له لثلاث بقين من رجب سنة ٢٥٥ هـ . جاهد للتخلص من سلطان الأتراك ، ولكنهم تغلبوا عليه حتى أصيب بجراح أعقبها موته « لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٦ هـ) ٢ : ٥٠٦ - يعقوبى) .

(٢) بويج المعتضد سنة ٢٥٦ هـ وكان مستضعفاً ، وكان أخوه الموفق طلحة الناصر هو الغالب على أموره ، إذ كانا كالشريكين في الخلافة : للمعتمد الخطبة والسكة والتسمى بأمر المؤمنين ، ولأخيه طلحة الأمر والنهى (٢٥٠ : تاريخ الدول الإسلامية) .

(٣) هو أبو العباس أحمد بن الأمين أبي أحمد طلحة الموفق بن جعفر بن المتوكل ، بويج يوم الإثنين ثامن عشر رجب سنة ٢٧٩ هـ وكان ذا رأى وحزم وشجاعة وعدل في الرعية وإلزام خاصته بالإنصاف والطريقة المثلى خوفاً من العقاب وشاع ذلك في الأجناد حتى سلكوا أحسن مسلك ووجح وغزا وفضائله كثيرة وآثاره عظيمة . سمي السفاح الثاني لأنه جدد ملك بني العباس « توفي المعتضد ليلة الإثنين ثامن بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين في قصره المعروف بالحنسى بمدينة السلام » (٢٣٥ : خلاصة الذهب المسبوك) .

هذا ما انتهت به المخطوطة ، ويكون المعتضد قد عاش بعد وفاة المؤلف ما يقارب خمس سنوات ، إذا صح أن وفاة يعقوبى كانت سنة ٢٨٤ هـ ، كما أن لو صح ذلك يكون قد عاصر المعتضد مثل هذه المدة ، والله أعلم بالصواب ، وله الحمد في الأولى والآخرة وهو العزيز الحكيم .

فهرس الأعلام

أم فروة	ابراهيم بن المهدي
الأمين	ابن أبي دؤاد
البرامكة	ابن أبي العرجاء
	ابن ديسان
بطليموس	ابن سريج
بنو أمية	ابن عائشة
جرير	ابن محرز
حازم بن خزيمة	ابن المقفع
حباية	أبو بكر الصديق
الحجاج	
الحسن بن مهمل	أبو جعفر المنصور
حماد عجرد	أبو سالم الأعرج
حميد بن عبد الحميد	أبو سفيان بن حرب
حميد بن قحطبة	أبو عبيدة بن الجراح
الحواري بن حطان	أبو قحافة
حويطب بن عبد العزى	أحمد بن الخطيب
داود بن علي	أحمد بن يوسف
دحمان	الأخطل
دعبل الشاعر	أرسطوطاليس
ذو الكلاع	اسماعيل بن جعفر-
رسول الله	الأشعث
الرشيد	الأشعث بن قيس
	أقليدس
الزبير بن العوام	أم جعفر زوجة الرشيد.

علي بن أبي طالب	زياد بن أبيه
علي بن هشام	زيد بن موسى
عمر بن الخطاب	سعد بن أبي وقاص
	سعيد بن المسيب
عمر بن عبد العزيز	السفاح
عمرو بن العاص	سلمان الفارسي
عمير بن سعد	سليمان بن عبد الملك
عيسى بن محمد	سهل بن سلامة
الغريص	صالح بن علي
غسان بن عباد	ضرار بن عمرو
الفتح بن خافان	طلحة بن عبيد الله
الفرزدق	طويس المغني
الفضل بن الربيع	العباس بن زفر
قرة بن شريك	عبد الحميد بن يحيى
معاوية بن أبي سفيان	عبد الرحمن بن عوف
	عبد الله بن طاهر
معبد المغني	عبد الله بن عامر
المعتر	عبد الله بن عبد الملك
المعتصم	عبد الله بن عتبة
المعتضد	عبد الله بن علي
المعتمد	عبد الله بن عمر بن الخطاب
المقداد	عبد الله بن السري
المعلبي بن أيوب	عبيد الله بن يحيى بن خافان
معمر بن عمر	عبد الملك بن مروان
المنتصر	عثمان بن حيان
المهتدي	عثمان بن عفان
المهدي	عقبة بن عامر

مسلمة بن خالد	مهدي بن علوان
مطيع بن إياس	المهلب
هشام بن اسماعيل	موسى بن المهدي
هشام بن الحكم	موسى بن نصير
هشام بن عبد الملك	نصرى بن شبيب
الوائق	نعم بن حازم
الوليد بن عبد الملك	المأمون
الوليد بن يزيد	
يحيى بن خالد	مانى
يحيى بن زياد	محمد بن اسحاق
يحيى بن محمد	محمد بن جعفر العلوى
يزيد بن عبد الملك	محمد بن مروان
يزيد بن معاوية	محمد بن يوسف الثقفى
يزيد بن الوليد	المتوكل
يعلى بن منبه	مروان بن محمد
	المستعين

فهرس الأماكن والبلدان

سر من رأى	الإسكندرية
سوق المدينة	إفريقية
الشام	بئر أريس
الطائف	البصرة
طرسوس	بغداد
العراق	الجرف
عرفات	الجزيرة
العقيق	حاضر تنوخ
عين المشاش	الحجاز
فارس	حمص
قورس	خراسان
الكوفة	خيبر
المدائن	دار الزبير بالإسكندرية
المدينة	دار الزبير بالبصرة
المسجد الحرام	دار الزبير بالكوفة
مسجد دمشق	دار الزبير بمصر
مصر	دار سعد بالعقيق
المغرب	دار عثمان بالمدينة
مكة	دار عقبة بن عامر بمصر
منى	دار ربيعة
	ديار مضر
	الرها

الموصل
وادي القرى
الوهمط
اليمين
ينبع